

البنية السردية والتمثيل الرمزي للسلطة في العصر العباسي:
حكاية "الأسد والغواص" أنموذجاً – دراسة تحليلية

**Narrative Structure and Symbolic Representation of Power
in the Abbasid Era: The Tale of “The Lion and the Diver” as
a Model – An Analytical Study**

د/ نائل محمد إبراهيم الملكاوي

محاضر غير متفرغ في الجامعة الأردنية- مركز اللغات (الأردن)

Thaeralmalkawi555@gmail.com

ORCID iD Link: <https://orcid.org/0009-0009-0349-9509>

تاريخ الاستقبال: 2025/06/04	تاريخ القبول: 2025/09/08	تاريخ النشر: 2025/09/30
-----------------------------	--------------------------	-------------------------

الملخص:

تكشف حكاية "الأسد والغواص" عن عمق رمزي وسردي يمكنها من لعب دور مزدوج: فني وتوجيهي. إذ تمثل هذه الحكاية نموذجاً متقدماً من التوظيف الرمزي للسلطة والحكمة في الأدب السياسي العباسي، حيث يُجسّد الأسد صورة الحاكم المتردد أو المخدوع، في حين يظهر الغواص بوصفه حكيماً نافذ البصيرة يُحاول إرشاد الملك وكشف ما هو خفي من الحقائق. وتبرز البنية السردية للحكاية بوصفها حقلاً دلاليًا فاعلاً، ينتقل فيه الرمز من كونه أداة فنية إلى كونه وسيلة للتعبير عن التوتر بين الحاكم والمستشار في بنية الحكم العباسي. وتعتمد الدراسة المنهج السيميائي السردية في تحليل مستويات البنية والتمثيل السياسي داخل الحكاية، وتخلص إلى أن الغواص يرمز إلى الفاعل المعرفي الذي غالباً ما يُقصى في نظم الحكم التسلطية. ويُظهر التحليل كيف تُعيد الحكاية تشكيل السلطة من خلال رمز البحر والغوص بوصفهما معادلين معرفيين للبحث والحق.

الكلمات المفتاحية: الأسد، الغواص، السرد، التمثيل السياسي، الرمز.

Abstract The tale of "The Lion and the Diver" reveals a profound symbolic and narrative depth that allows it to serve a dual function: artistic and didactic. This tale stands as an advanced model of symbolic representation of power and wisdom in Abbasid political literature. The lion embodies the hesitant or deceived ruler, while the diver appears as a figure of deep wisdom attempting to guide the king and unveil hidden truths. The narrative structure acts as a dynamic semantic field in which symbolism transcends artistic function and becomes a vehicle for expressing tensions between ruler and advisor within Abbasid governance. This study adopts a semiotic-narrative approach to analyze the political representations encoded in the tale. It concludes that the diver symbolizes the epistemic agent who is often marginalized in authoritarian systems. The tale reconfigures power through the symbolic use of the sea and diving as metaphors for knowledge-seeking and truth-revealing.

Keywords: Lion, Diver, Narrative, Political Representation, Symbol.

مقدمة:

في سياق ازدهار الأدب الرمزي خلال العصر العباسي، ظهرت حكاية "الأسد والغواص" بوصفها إحدى أبرز الحكايات التي تُشَقِّر خطاباً سياسياً دقيقاً ضمن بنية سردية خادعة في بساطتها. فالحكاية تتجاوز كونها نصاً خيالياً لتتحول إلى فضاء رمزي حافل بالعلامات والدلالات التي تعكس صراعاً داخلياً في بنية السلطة بين الحاكم والمستشار. ويُعيد النص صياغة العلاقة بين المعرفة والسلطة من خلال استخدام الرمز البحري والغوص في الأعماق، بوصفه تعبيراً عن البحث عن الحقيقة المطموسة. إن القراءة التحليلية النقدية السردية لهذه الحكاية تُبرز كيف تمكّن الأدب من إنتاج خطاب مقاومة خفي، يفضح بنية الحكم العباسي من الداخل، دون التصادم المباشر مع السلطة، مما يجعل من "الأسد والغواص" أنموذجاً مهماً لفهم التفاعل بين النص والسلطة في سياق الاستبداد الرمزي والسياسي.

مشكلة الدراسة

تكمن مشكلة الدراسة في محاولة الكشف عن الكيفية التي يُوظف بها السرد الرمزي في حكاية "الأسد والغواص" لتمثيل السلطة في العصر العباسي، وكيف تُعيد

البنية السردية والتمثيل الرمزي للسلطة في العصر العباسي:

حكاية "الأسد والغواص" أنموذجًا - دراسة تحليلية

هذه الحكاية تخليق العلاقة بين الحاكم والناصح ضمن بنية رمزية تعكس عمق الأزمة السياسية والفكرية لذلك العصر.

فرضية الدراسة

تفترض الدراسة أن حكاية "الأسد والغواص" لا تُقدّم مجرد تصوير سردي لوقائع خيالية، بل تؤدي دورًا رمزيًا في انتقاد البنية السلطوية في العصر العباسي، وأن الغواص يمثل المعرفة المقصية التي تحاول النفاذ إلى الحقيقة رغم طغيان السلطة الغافلة.

أهمية الدراسة

تأتي أهمية هذه الدراسة من محاولتها إضاءة جانب مُهمَل من الأدب العباسي، يكشف عن الاستخدام الرمزي العميق للحكايات الحيوانية في نقد الواقع السياسي. كما تسعى إلى إعادة الاعتبار لأدب الحيوان بوصفه خطابًا رمزيًا يحتوي على رؤية سياسية ناضجة، تُعبر عن أزمات الفكر والسلطة من خلال وسائط رمزية سردية.

منهجية الدراسة

تعتمد الدراسة المنهج السيميائي-السردية، الذي يجمع بين تحليل البنية السردية ومقاربة الرموز بوصفها علامات دالة على بنى فكرية وسياسية. كما توظف الدراسة أدوات تحليل الخطاب الرمزي في تفكيك تمثيل السلطة والمعرفة من خلال الشخصيات الحيوانية، مع استحضار السياق التاريخي والسياسي الذي نشأت فيه الحكاية.

أسئلة الدراسة

- كيف تُبنى البنية السردية في حكاية "الأسد والغواص" لخدمة التمثيل الرمزي للسلطة؟
- ما رمزية كل من الأسد والغواص، وكيف تُترجم هذه الرمزية إلى تمثيل سياسي؟
- كيف يتجلى التوتر بين الحكمة والسلطة في الحكاية؟
- إلى أي مدى تُعدّ الحكاية خطابًا احتجاجيًا ضمنيًا ضد بنية الحكم العباسي؟

الإضافة العلمية الجديدة:

تُقدم هذه الدراسة إسهامًا جديدًا في مجال الدراسات التحليلية النقدية السردية للأدب العربي، من خلال تحليل إحدى الحكايات الرمزية المهملة التي تمثل نموذجًا خفيًا للمقاومة الفكرية. وتُسهّم في إعادة قراءة التراث الأدبي بوصفه حقلاً حيّاً لإنتاج الخطاب السياسي عبر أدوات رمزية، مما يفتح آفاقاً جديدة لفهم العلاقة بين السرد والسلطة في الثقافة العربية الكلاسيكية.

1. حكاية الأسد والغواص وصاحبها

- تعريف بحكاية الأسد والغواص وبصاحبها

تُعد حكاية الأسد والغواص من الحكايات السياسية، والعلمية، والثقافية، في العصر العباسي، وقد جعلها صاحبها المجهول على لسان الحيوان؛ تجنباً للمساءلة والعقاب. ويبلغ عدد صفحاتها المئتين ونيف، ويغلب الظن من سياق الكلام، ومن مجريات الأحداث والوقائع، أن حكاية الأسد والغواص كانت في فترة من الزمن أصبحت الإمارات التي على الأطراف مستقلة عن مركز الدولة، فقد أصبح كل أمير على إمارة يعطي الأوامر والتعليمات، بحسب ما يراه مناسباً له، وبحسب مصالحه الشخصية، مع إغفال ما يأتيه من الخليفة من أوامر من أجل الصالح العام، وقد ورد في حكاية الأسد والغواص من العبر، والعظات، والنكات، والتسلّيات، والعلوم، والحكم، والأمثال، والخبرات، ما يعجز اللسان عن وصف عظّمته. وبالرغم من رصانة هذه الحكاية ومتانتها، إلا أن مؤلفها وناسخها من بعده مجهولاً الهوية، لم يُعرف أبداً، حتى إن تاريخها الحقيقي غير معروف، لكن أغلب الظن كما في النسخة الأم، أن هذه الحكاية تعود إلى أواخر القرن الخامس الهجري، وبعضهم قال إلى أوائل القرن السادس الهجري، وأن كاتبها المجهول كان مخضرمًا عاش طرفين من القرنين الخامس والسادس الهجريين، ولا بد من الإشارة إلى أن طبعة استانبول من مخطوط هذه الحكاية عام 1390هـ، والتي يعتمد عليها كثير من الباحثين، قد تُركّ فيها فراغات لبعض الكلمات، قد غاب فهمها وتأويلها عن النُسخ والمُحقّقين، ولم يعرفوا المقصد والدلالة منها، فما رغبوا في إضافة شيء غير معروف، فتركوا مكانها فراغات، حتى إن بعضها يصل إلى السطر، وقد أشار بعض الباحثين، أن هذه الحكاية تقرب من حكاية

البنية السردية والتمثيل الرمزي للسلطة في العصر العباسي:

حكاية "الأسد والغواص" أنموذجًا - دراسة تحليلية

النمر والثعلب في مغزاها، بل وقال بعضهم: إن كاتبها هو سهل بن هارون، ولكن وقت ظهورها كان متأخرا عنه، وقد قصد ذلك على حد قول بعض الباحثين، إذ إنه أخفى اسمه، وأخفى تاريخها الحقيقي، وزاد بعضهم أن إحدى الحكايتين في أصلها مخطوطة للأخرى (السيد، 1978: 5-7). ولحكاية الأسد والغواص ثلاث مخطوطات مهمة، لا غنى للباحثين عنها؛ فالأولى: توجد في المكتبة البلدية في مصر بالإسكندرية، ويعود تاريخ نسخها إلى عام 950هـ/1544م، ولم يذكر اسم ناسخها، ولكن كُتِب تاريخ الانتهاء منها، فقال ناسخها بنهايتها: "تم كتاب الأسد والغواص بحمد الله ومنه، وكان الفراغ من نسخه يوم الخميس عشرين من جمادى الآخر سنة خمسين وتسعمائة" (السيد، 1978: 211). والنسخة الثانية: توجد في الهند في بانكيبور، والتي يعود تاريخ نسخها للعام 1131هـ/1719م. والنسخة الثالثة: توجد في دار الكتب المصرية، والتي يعود نسخها للعام 1329هـ/1911م. وتُعد النسخة الهندية نسخة مهمة؛ لأنها جاءت مكملّة لبعض الفراغات التي جاءت في مخطوطات أخرى. ويمكن القول: إن هذه الحكاية تعود إلى الربع الأول من القرن السادس الهجري، وهذه الفترة كانت تعاني من صراعات شرسة داخل الدولة، وعلى عدة مستويات، أهمها: على المستوى السياسي، وعلى المستوى الأيدلوجي، وكانت الصراعات ما بين السلاجقة، وهم الذين يدعمون المذهب السني، والفاطميين والبويهيين، والذين يدعمون المذهب الشيعي، والذين يدخلون في تكفير المعتزلة (إسماعيل، 2008: 105) (السيد، 1978: 105).

وتوصف الفترة التي تعود إليها الحكاية بأنها فترة فُقدت الثقة فيها بين الشعوب والحكومات، وبعد وجود الاضطرابات التي كانت تعصف في البلاد، رأى الغواص في نفسه ناصحا للملك، فأصر على نصحه، وإخباره بما يجول في صدور الناس، وبما يجري في الإمارات على الأطراف دون علمه، وكيف أن بعض الولاة يتسلطون على الناس، ويشير صاحب الحكاية إلى أن الغواص قد حيكت له المكائد والمصائد من حاشية الملك ووزرائه، لما رأوا أن أمرهم سيكشف من قبل الغواص، وقد حسدوه على ثقة الملك له، فوقع الغواص فريسة للأعداء وتآمرهم عليه، وقد أصيب بخيبة أمل بعد أن سُجن زورا وظلما وبهتاناً، ولكن الملك بعد أن تكشفت له الحقيقة أخرجته من

السجن وأراد تقريبه منه، إلا أن الغواص كان على ثقة أن هذا النوع من التعاون بين السلطة والمثقف مع وجود الأعداء المغرضين، لن يثمر من بعد أن انعدمت الثقة بينه وبين الملك، وكان الغواص على يقين كما شك الملك فيه في المرة الأولى، يمكن أن يشك فيه مرة ثانية وثالثة، وحكاية الأسد والغواص تتشابه نوعاً ما مع حكاية كليله ودمنة، فالملك هو الأسد في الحكايتين، وهو ملك على مملكة الوحوش، والغواص مثقف حكيم ومستشار كريم، وهو حيوان ابن آوى، وهو قريب من الثعلب، وكذلك دُمْنَة ثعلب يتصف بنفس الصفات، وكما أن للغواص صديقاً كان يحثه على عدم القرب من السلطة، فهناك صديق لِدُمْنَة حثه على عدم القرب من السلطة، وهو كليله، ولكن هناك فروقاً واضحة جلية، فالمقصد من حكاية كليله ودمنة التقرب من الملك، وذكر سبب ذلك: "أن يَسُرَّ الصديق وَيَسُوَّ العدو، ..." (ابن المقفع، 1981: 52). وقال: "ولأن ذوي المروءات أحق أن يرموا ما فوقهم من المنازل بمروءاتهم، ولا يقيموا على حالهم هذه، ..." (ابن المقفع، 1981: 54). فهو يريد الوصول والتقرب للملك بشتى الوسائل، ولو على حساب كرامته وطرح أنفته، أما الغواص فالمقصد الرئيس التعاون مع الملك، ونصحه وإرشاده، ولأن "على الرعية أن يُجهدوا أنفسهم في صلاح الملك ومعونته، بما يجدون إليه السبيل من رأي وقدرة، ..." (إسماعيل، 2008: 44) (السيد، 1978: 44). وأضاف ولأن "صلاح الملك صلاح مملكته ورعيته، وفي صلاح مملكته صلاح الجملة التي الناصحُ جزءٌ منها، يضرُّها ما يضرها، وينفعها ما ينفعها، ..." (السيد، 1978: 44-45). وإذا جئنا للمشكلة التي تواجه الملك في الحكايتين فهي ذاتها، ففي كليله ودمنة نرى أن الثور قد سيطر على الغابة وما فيها متجاهلاً الأسد الملك، وقد سمع الملك صوته الفظيع، وهو الصوت المسمى بالخوار، وهو يفخر بما يصنع، "ولم يكن رأى ثورا قط، ولا سمع خُواره فرعب منه، وكره أن يفتن لذلك جنده، فلم يبرح من مكانه" (ابن المقفع، 1981: 55). وفي حكاية الأسد والغواص نرى "الأسد لما علم بمكانه، هالَهُ واستفزع أمره، وكره أن يبدي لأحد ما في نفسه" (السيد، 1978: 35). وهذه المشكلة ظهرت جلية بعد منتصف القرن الثالث الهجري، وفي جميع أنحاء الدولة الإسلامية آنذاك، وهي مشكلة أمراء الأطراف المتجبرين المتكبرين على الناس، وعلى أوامر الملك،

عندها رأت فئة المثقفين كأمثال الغواص أن يبدها الحل، وكان الحل مشروطاً بأن تتعاون معها السلطة تعاوناً تاماً، وهذا ما لاقى معارضة من حاشية الملك ووزرائه، الذين يقدمون مصالحهم الشخصية على مصلحة الدولة (السيد، 1978: 26). وفي المقابل في حكاية كليله ودمنة، وقع دُمْنَة في الفخ الذي نصبه، وفي المكيدة التي حاول تدبيرها، لكن الغواص سُجِنَ ثم أُخْرِجَ بعد أن تكشفت الحقيقة للملك، وإننا لنجد أن التعاطي والتعاطف مع شخصية الثور المتمردة مختلفة تماماً في الحكايتين، ففي حكاية كليله ودمنة نرى أن الأسد قَبِلَ الثور (شنزية)، بالرغم من تمرده، فقد جعله قريباً منه، ومعاوناً له، وأعطاه الثقة بعد أن فقدوها منه. أما في حكاية الأسد والغواص، فإن الأسد قَتَلَ الثَّوْرَ وفتك به، بالتعاون مع الغواص الذي دبر له مكيدة محكمة ما خرج منها أبداً، وهذا يدلنا على أن الظروف كانت مختلفة تماماً بين الحكايتين، على الرغم من أن المغزى هو ذاته (السيد، 1978: 27). ونرى أن صديق الغواص الناصح له بعدم القرب من السلطة، لم يَتَخَلَّ عنه عندما سُجِنَ، بل جاءه وزاره، وحاول مساعدته بقدر المستطاع وعلى حسب إمكانياته المتوفرة، بالرغم من أنه كان من بداية الأمر يشك بأن الغواص يقدر على تغيير مجريات الأحداث الدائرة في الدولة. أما في كليله ودمنة، فصحيح أننا نرى الصديق قد عارض صديقه، وخاف عليه من عقاب الملك، لكنه كان على استعداد أن يتعاون مع صديقه للإيقاع بالثور والتخلص منه، فقد قال لصديقه: "إن قدرت على هلاك شنزية من غير مشقة، ... فافعل" (ابن المقفع، 1981: 70) (السيد، 1978: 26-28). وإننا نجد قصصاً وحكايات داخلية متفرعة عن الحكاية الكبيرة الأم الأسد والغواص، وجميعها مستمدة من التاريخ الإسلامي، وإن بعضها يذكرنا بأحداث حكايات ألف ليلة وليلة وشهرزاد مع الملك شهریار، وليس هناك شك بأن حكاية الأسد والغواص ذات حبكة جيدة، ومستوى عال جداً من الثقافة، وذات أبعاد دلالية وإيحائية عميقة. وبالرغم من وجود الأسلوب المتشابه بين كليله ودمنة، والأسد والغواص، إلا أننا نجد الفرق واضحاً بينهما تماماً، وخاصة في الأسلوب المتبع، فإننا نلمس تأثير صاحب حكاية الأسد والغواص بالثقافة

والتعاليم الإسلامية، ونرى ذلك جليا في الحكاية، أكثر من ظهوره ووضوحه في حكاية كليله ودمنة (السيد، 1978: 36، 37).

لم يكن سهل بن هارون في الحكاية السابقة، ولا صاحب حكاية الأسد والغواص سباقين في هذا الفن، (فن السرد الحكائي على لسان الحيوان) بل سبقهما بذلك عبد الله بن المقفع في كتابه المشهور (كليله ودمنة). ولقد فتح عبد الله بن المقفع الباب على مصراعيه، لينحو غيره نحو هذا الفن الجديد، وتُنسج الحكايات من بعده على غرار كليله ودمنة، ولحقه بهذا الفن عدا حكايتي النمر والثعلب، والأسد والغواص حكايات أخرى، من أهمها (قحطان، 2013: 346-348):

- حكاية ثعلة وعفرة، وحكاية الوامق والعدراء؛ وتنسب لسهل بن هارون، إذ إن سهل بن هارون جعلها معارضة لكليله ودمنة، بل ولربما زاد عليه في حسن نظمها.
- حكاية القائف؛ وهذه الحكاية تنسب لأبي العلاء المعري، وهو في ستين كراسة، كما أن له كتابا آخر أسماه (منار القائف).
- كتاب در الحكم في أمثال الهنود والعجم؛ وينسب لعبد المؤمن بن الحسن الصاغاني.
- كتاب كشف الأسرار عن حكم الطيور والدواب والأزهار؛ وينسب للإمام العز بن عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي.
- كتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء؛ وينسب لأحمد بن محمد الحنفي، (ابن عرب شاه).
- كتاب سلوان المطاع في عدوان الطباع؛ وينسب لأبي عبد الله محمد بن أبي القاسم، المعروف بابن ظفر.
- كتاب سير الملوك؛ وينسب لعمر بن داؤد بن سليمان الفارسي.
- الصادج والباغم؛ وينسب لمحمد بن صالح بن حمزة البغدادي، المعروف بابن الهبارية.

البنية السردية والتمثيل الرمزي للسلطة في العصر العباسي:

حكاية "الأسد والغواص" أنموذجًا - دراسة تحليلية

- كتاب تداعي الحيوان على الإنسان، ورسائل إخوان الصفا؛ وتنسب لإخوان الصفا وخلان الوفا، وهم مجموعة من الفلاسفة المسلمين، عاشوا في القرن الثالث، وقيل: في القرن الرابع الهجري.
- وكتب الجهرمية وتوكيل النعم، والجرة والأمة، والظرّاف؛ وتنسب لعلي بن داود، ولكنها لم تصل إلينا.

ملخص الحكاية

يذكر أن أسدا كان ملكا على الوحوش، وكان هذا الأسد ملكا متواضعا مع رعيته، يحبهم ويحبونه، يظهر لهم حبه، ورحمته، وتواضعه، وحرصه عليهم، وبنفس الوقت كان يظهر حزمه وقوته، فالحكم والسياسة لا بد لهما من حزم وقوة، يحبهم محبة الوالد لولده، يعاقبهم على أخطائهم ردعا لهم وللآخرين، لا محبة في العقاب، وكان يُؤثر السهر والتعب من أجل راحتهم، وكان محبا للسنة النبوية الشريفة، ومحبا لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بحذافيرها، ويذكر أن جاموسا كان في المملكة، وقد كان مفسدا، يفسد في الأرض، حتى شَرَدَ الحيوانات والوحوش عن موطنهم وسَكَنَهم بإفساده، ويذكر أن حيوان ابن آوى كان يعيش في المملكة، وكان معروفًا بـ(الغَوَّاص)، كان عابدا زاهدا، محبا للعلم وأهله، حكيم في أقواله وأفعاله، وكان محبا للعزلة والوحدة ليستزيد من العلم، ويختلي مع نفسه ليتقرب من ربه جل وعلا، وكان للغَوَّاص صديق مُقَرَّب يَبُوح له بكل أسرارهِ، فذكر الغَوَّاص لصديقه أنه يرى بعض الأمور في الدولة لا تعجبه، وهي ليست كما يرام، وأن الملك لا يعرف بها، فيجب عليه أن يتقرب من الملك؛ ليحذره من بعض الناس، ويُحَدِّثه بما يجري من خلفه وهو لا يعلم، فَحَدَّرَ الصديق الغَوَّاص من مَغَبَّة البطش به من الملك أو من الحُسَّاد. فقال الغَوَّاص لصديقه: على الرعية أن يكونوا ناصحين للحاكم بما يروونه مناسباً لمصلحة الدولة، وعلمهم أن يكونوا أمينين بالنصيحة، وإن السكوت عما يجري بدون علم الملك، والسكوت عن تقديم النصيحة هو خيانة وغش له، وما زال الغَوَّاص يقنع صديقه بالقرب من الملك، والصديق ينصحه بعدم القرب منه. فقال له الصديق: يا غَوَّاص، إنَّ في إقبال الملك عليك تعب، وفي القرب منه مذلة، وإن الرزق على الله، فكما أنه

يرزق النملة والطير يرزقك، فقال الغوّاص: أنت تعلم أنني لا أريد مالا، وأنني أرضى بما قسم الله لي، ولكنني أريد نصيح الملك، وأخشى أن يكون علي هذا حجة عليّ يوم القيامة، وإذا لم أنصح الملك أصابني الحزن والكآبة؛ بسبب ما أراه من الظلم وعدم العدل مع الرعية، فلما رأى الصديق الغوّاص مصرا على التقرب من الملك، فقال له: تذكر أنني نصحتك يا صديقي، واسمع مني نصيحتي، فنصحه نصائح كثيرة كلها تحثه على عدم التقرب كثيرا من الملك، فسيحسده من حوله على قربه من الملك من الوزراء والمستشارين، وربما انقلب الأمر ضده، وحذّره من أن يُسَفِّه رأي أحد من المستشارين والوزراء، فسيقبلون قرب الملك له بعدا، وقال له: ولتكن نصيحتك مدروسة قبل نطقك بها، واحذر من التسرع في الإجابة، ولا تعادي أحدا من الحاشية، ولا من أهل الملك وخاصته، فدخل شيء من الخوف قلب الغوّاص، وخاصة أن الملوك لا يقربون أحدا مباشرة إليهم دون تَتَبُّت، فلا بد من أن يُثبت حسن النوايا والوفاء، ولا بد له أن يسعى جاهدا لأن يتحصل على ثقة الملك، ومن ثم يبدي له نصائحه، ولما أراد التقرب ذهب إلى الملك، وقد سبقه الملك بقوله: يا أيها الغوّاص، ما الذي غير رأيك بأن تتقرب منا بعد أن كنت زاهدا في ذلك واعتزلت الناس؟! فقال له: إنه يحب أن يخدم الملك، فقربه الملك، وما زال يختبره مرة بعد مرة حتى أثبت وفاءه وإخلاصه، وزاده قريبا لما عهدَ عنه من الذكاء، والفتنة، والدهاء، والحكمة، ومن أول يوم أراد أحد الحاشية الإيقاع بالغوّاص، فأخذوا بسؤال الغوّاص أسئلة عن أوضاع الدنيا، والغوّاص يجيب بحكمة وروية، حتى أعجب الأسد بما سمع، فقال له: لماذا سميت غوّاصًا؟ فقال: لأنني أغوص في أعماق المعاني، وأستخرج ما خفي من العلوم والحكمة، فأُنِسَ به الملك وقربه ليكون له مستشارا أميناً، ثم بدأ بالنصيحة للملك، وذكر للملك أن جاموسا يعيش فسادا في المملكة، وأنه يتناول على الملك، وأنه يعمل بعكس مصالح الدولة، وأنه يجب الخلاص منه بالحيلة، فقال الملك ولم الحيلة مع وجود القوة؟ فقال له: إن الحكماء لا يقللون من قدر الحيلة، لما لها من أثر ربما زاد عن القوة العضلية، ولكن الحيلة للإيقاع به بهدوء لأسباب كثيرة، منها: أنه لربما جمع هذا الجاموس أتباعا له، فبدلا من الإيقاع بالجاموس وحده ستكون معركة طاحنة، فإذا قُضي على الجاموس خاف من تحته من

أتباعه، وحُفِظَ للملك بذلك قدره أمام العامة، فأذن الملك للغَوَّاص بالحيلة على الجاموس، فأخذ الغواص يتقرب من الجاموس بالحيلة ليوثق به، فقال الغَوَّاص للجاموس إنه يريد نصيحة منه، فرد الجاموس أنت رجل حكيم، ولديك أصدقاء أكثر من العلماء والحكماء، وهم كالمرأة لك، فاطلب منهم النصيحة. فقال له الغَوَّاص: إنه ليس كل امرأة يُرى منها، فربما أصاب أحدها الصدا فلا يرى من خلالها، ودار بينهما حوار طويل، فعرف الغَوَّاص أنه لن يقدر على الجاموس؛ لقوته وضخامته. فوجد قوما مسافرين، فقال لهم: أنتم في سفر ولا بد لكم من طعام، وعندي صيد لكم، فدلهم على الجاموس فأخرجوا أسلحتهم، وأخذوا يلحقون بالجاموس، والجاموس يهرب منهم حتى أصابوه وأسقطوه أرضا، فطعنوه طعنات متعددة حتى سقطا أرضا مغشيا عليه من الجراح، فجاء الغَوَّاص إلى قصر الملك مُخبرا إياه بمقتل الجاموس، فأرسل الملك جنوده وأحضروا الجاموس، وإذ به يلفظ أنفاسه الأخيرة، فأكملوا عليه وأحضروه، فأكل الملك ومن حوله منه، ثم أظهر الغَوَّاص للملك أنه يريد المغادرة بعد أن أنجز المهمة. وهو بذلك يتحایل على الملك منتظرا القرب والمنصب، فقال له الملك: ما رأيك أن تكون مستشارا مقربا؟ فأظهر الغَوَّاص رفضه، ولكنه يخفي حبه للمنصب، فأجبره الملك على القرب منه، وصار مقربا من الملك، وأصبح الملك لا يقضي أمرا من أموره إلا بمشورة الغَوَّاص، فحسده على ذلك الوزراء والمستشارون، فأخذوا يتشاورون فيما بينهم بأكثر شيء يغضب الملوك، فاتفقوا على أربعة تُهم لها وقع كبير، وهي: (إفشاء السر، والذم والقدح في الدولة، والإفساد، وسرقة المال)، وأشار أحدهم بأن يحيكوا له مكيدة ومؤامرة محكمة بهذه التهم كلها معا، بحيث لو نجى من تهمة جاءت الأخرى، وبدؤوا (بتهمة إفشاء السر)، وأخذوا يبحثون عن سر لا يعرفه سوى الملك والغواص، بحيث يُلبسونه التهمة ولا يستطيع الدفاع عن نفسه فيها، وقاموا بأول حيلة وهي أن أرسلوا كتابا لِخَطِيئَةِ الملك على لسان الغَوَّاص، والخطيئة هي زوجة الملك، وقيل: هي المرأة المُقَرَّبَة، ونص الكتاب أنه يحبها، وأن ما تراه فيه من الزهد والخشونة في اللباس، والقرب من الملك إنما هو من أجل التقرب منها هي، فوصل الكتاب للملك، بعد أن جاءت به خَطِيئَتُهُ، وأخبرته أن الغَوَّاص أرسل لها كتابا فيه كذا وكذا، فكظم

غيظه وقال: لعل أعداء الغَوَّاص قاموا بذلك. ثم جاءت (التهمة الثانية): أن الملك أراد أن يبطش بالنمر، فأشار الغَوَّاص على الملك أن يرسل له المكرمات والأعطيات للنمر، وأن تُلبى له جميع الرغبات، فإذا اطمأن لك ببطشت به، كما بطشت بالجاموس من قبل، وأشار الغَوَّاص على الملك أن إذا جاءه كتاب من النمر أن يوافق على كل ما فيه، حتى يذهب حذره منك فتبطش به، وصادف ذلك إرسال النمر كتابا للملك يريد فيه تعيين الذئب على ناحية، فوافق الملك على ذلك، وهي حيلة من الغَوَّاص؛ لاقتناص الفرصة المناسبة. فقال أعداء الغَوَّاص: لا بد أن الملك استشار الغَوَّاص، وأنه هو من أشار على الملك بما قدمه للنمر، وأنه لا بد يريد البطش بالنمر، فلماذا أرسل الأعطيات وهو لا يحبه؟! فاتفقوا أن يشيع أحدهم خبرا أن الملك يريد البطش بالنمر، وهذه الأعطيات من الملك فقط ليأمن النمر على نفسه من البطش، فيسهل التخلص منه، والآخر أشاع خبرا أن الملك يريد أن يستصلح النمر ويجعله من المستشارين المقربين، وفي الحقيقة هذه حيلة ذكية جدا، فالأمر لا يخلو من أحد الخيارين، فإما أن يكون المقصود تقريب النمر، وإما أن يكون البطش به، ولا خيار ثالث لها. وأما (التهمة الثالثة): والتي كانت القاضية فهي أن قاموا بإرسال كتاب على لسان النمر للغَوَّاص، مفاده أنك أظهرت الولاء لنا ضد الأسد، وأنت نجحت في الامتحان وخداع الملك الأسد، وسأرسل إليك كتابا مع هدايا وأعطيات مع تاجر، وبالفعل كان هناك تاجر قد دفعوا لغلامه مالا ليضع الكتاب في رحل التاجر، وأرسلوا للملك بذلك، فأرسل الملك الجُند إلى التاجر، ووجدوا الكتاب الذي لا يعرف عنه التاجر شيئا، كما لا يعرف عنه الغَوَّاص أيضا، وإنما غلامه وضعه بالاتفاق مع أعداء الغَوَّاص. فَجُنَّ جنون الملك لما أخرجوا الكتاب من رحل التاجر، وأراد الملك أن يبطش بالغَوَّاص، ولكن أحد المستشارين أشار على الملك بسجنه، وبعد مدة شكَّ الملك بالتهمة المنسوبة للغَوَّاص، لما عُهد عنه من الصدق والولاء للملك، فأرسل عَيْنًا عليه في السجن ليختلط بالغَوَّاص ويتقرب منه، وبعد مناظرات ومساجلات طويلة ظهر لعين الملك بأن الغَوَّاص بريء من التهم المنسوبة إليه، وأرسل للملك ببراءة الغَوَّاص، فأفرج الملك عن الغَوَّاص بعد أن ظهرت براءته، وكشف مؤامرات الحُساد والوشاة، وأمر بالقبض على المتآمرين، ثم

البنية السردية والتمثيل الرمزي للسلطة في العصر العباسي:

حكاية "الأسد والغواص" أنموذجًا - دراسة تحليلية

اعتذر الملك من الغَوَّاص، وألحَّ عليه أن يرجع مستشارا مقربا كما كان، فرفض الغَوَّاص ذلك؛ لأن الملك لا بد وأن يشك فيه مرة أخرى كما شك من قبل، وأثر أن يرجع إلى معتزله، وأن يرجع كما كان زاهدا عابدا ناسكا، لكن الملك اشترط عليه أن يذهب إليه في خلواته وجلساته في معتزله، ليأخذ منه النصائح، وأن يأتي إذا دعاه لقصره، فوافق على ذلك، وبقي الملك يأخذ من نصائح الغَوَّاص الحكيم، العابد، الزاهد، الناسك، حتى فرَّق بينهما الموت.

2. حكاية الأسد والغواص، دراسة سردية

سَتُدْرَس حكاية الأسد والغواص في هذا المبحث بذات العناصر التي دُرست بها حكاية النمر والثعلب في الفصل السابق، كما يلي:

-العنوان

إذا تصفحنا معاجم اللغة لنجد أن معنى العنوان يدور فيها حول مفهوم الظهور والوضوح، ويمكننا القول: إن العنوان للكتاب يقابله في الحقيقة وعلى أرض الواقع (الاسم للإنسان)، فكما أن الاسم مهم بالنسبة للإنسان وهو دال عليه، فإن العنوان بذات الأهمية للكتاب ويحمل إشارات ودلالات عن المحتوى، فبالعنوان يُعرف الكتاب، وبه يُعطي الكاتب للقارئ موجزا عن كتابه، والعنوان سمة من السمات الكتابية المهمة والضرورية في عملية الكتابة، وكما أن عنوان الكتاب يدل على وظيفته واختصاصه، فيدل على أنه في الأدب، أو اللغة، أو الطب، أو الهندسة، أو غير ذلك، ويُعد العنوان كالوسم والأثر الذي يتركه الكاتب على عمله الفني، فبه يُعرف (الجزار، 1998: 15-22). وفي هذا الصدد يُعرِّف الناقد سعيد علوش العنوان فيقول: إن العنوان "مقطع لغوي أقل من الجملة، يمثل نصا أو عملا فنيا، ويمكن النظر إليه من زاويتي داخل السياق، أو خارج السياق. والعنوان من داخل السياق يكون وحدة مع العمل، ويملك وظيفة مرادفة للتأويل عامة" (علوش، 1984: 89). وكما وصفه العلاق بقوله: يعد العنوان "مدخلا إلى عمارة النص، وإضاءة بارعة وغامضة لأبهائه وممراته المتشابكة" (العلاق، 1997: 100). وأما في حكاية الأسد والغواص فيمكننا القول: إن واضع العنوان اختار عنوانا مناسباً للحكاية، فاخترت تسميتها بحكاية (الأسد والغواص)،

لتدل على أن أبطال الحكاية هما الأسد والغواص، مع وجود شخصيات فرعية متعددة لا بد منها في الحكاية، وإن القارئ للحكاية ليعلم من العنوان أن الأسد والغواص هما الشخصيتان الرئيسيتان، وأن أغلب أحداث الحكاية تدور حول هاتين الشخصيتين، شخصية الأسد الملك، وشخصية ابن آوى المستشار الحكيم الملقب بالغواص، والملاحظ أن عنوان الحكاية مكون من مقطع واحد، وهو الخبر، كلمة (حكاية) مضاف إليها كلمة (الأسد)، ثم جاء العطف عليها بكلمة (الغواص)، إذ إن كلمة (حكاية) تمثل المسند، أما المسند إليه وهو المبتدأ، محذوفٌ لوضوح المعنى والدلالة. وذكرت سابقاً أن المسند في الجملة الاسمية هو (الخبر) أو ما يقوم مقامه، كخبر إن، وخبر كان، والمسند إليه هو (المبتدأ) أو ما يقوم مقامه؛ أي أُسند الخبر للمبتدأ لتمام المعنى. كما وذكرت أن المسند في الجملة الفعلية هو (الفعل) أو ما يقوم مقامه، كالمصدر النائب عن الفعل، مثل: رحمة بالمساكين، والمسند إليه هو (الفاعل) أو ما يقوم مقامه، كنائب الفاعل. وتقدير عنوان الحكاية كاملاً: (هذه حكاية الأسد والغواص). ولا شك أن النظريات النقدية الحديثة والباحثين في المجال النقدي يهتمون بالعنوان ودلالته، ويقومون بتحليله من جهات متعددة؛ لأنه يحمل علامة دالة على ما فيه من دراسات وتقسيمات علمية، فزى أن كلمة الأسد تدلنا على أن الأسد هو الشخصية الأساسية في الحكاية، فشخصية الأسد كانت تمثل شخصية الملك. والغواص كلمة تعطينا إيحائية عميقة بالغوص، لكن الغوص بماذا؟ فتأتي الإجابة من الغواص نفسه عندما سُئل في الحكاية: لماذا سُميت غواصاً؟ فأجاب بإيحائية أخرى بقوله: لأنني أغوص في أعماق المعاني وأستخرج الحكمة، والعبرة، والعظة. فكان العنوان دالاً على أهم شخصيتين في الحكاية.

ذكرت العرب كثيراً من صفات الأسد وأنه يتصف بالسرعة والقوة والحزم، فاستحق بذلك أن يكون ملكاً الغابة، ويمتلك الأسد الأنياب والأسنان القوية الفتاكة، ما لا يمتلكه غيره، كما يتمتع الأسد بعضلاته المفتولة، وأينما ذكر الأسد ارتسم في الأذهان ذلك الحيوان القوي المفترس، ونجد أن قوة الأسد متراكمة من جهات متعددة، فقوته بعضلاته من جهة، وبذكائه، وبصبره على فريسته، وانتقاء الفرصة المناسبة

البنية السردية والتمثيل الرمزي للسلطة في العصر العباسي:

حكاية "الأسد والغواص" أنموذجًا - دراسة تحليلية

للافتراض عليها في الوقت المناسب من جهة أخرى، فهو مختلف عن النمر ببعض الصفات، فالأسد ذو مكانة عالية، وهو أكثر حكمة وخبرة من النمر، وكما يدل الأسد في إحيائية عميقة ورمزية على الحكم، والسلطة، وحسن التدبير للأمور، ومن المعروف أن الأسد من الرموز الدالة على النبيل، والشهامة، والشجاعة، كما أن رمز الأسد يدل في الحكايات على السيادة والرياسة، والشدة، وضبط الأمور، ويعد الأسد أيضًا رمزًا لتقدير الآخرين، ورمزًا للذكاء، والحنكة، والعفة، والكرامة. فترى أحدنا إذا أراد مدح أحد من الناس شبهه بالأسد، فيقال: فلان كالأسد؛ أي بقوته وشجاعته وضبطه لنفسه، ولربما شبهناه بالأسد لصفات أخرى من الكمال فيه، وصورة الأسد الذكر مع شعره الغزير الناعم الطويل الملتف حول رقبتة، يذكرنا بشيء هام جدًا، وهو الشبه الذي بينه وبين الأشعة المنبعثة من الشمس، فشعر الأسد الكثيف حول رأسه قريب في الشبه من قرص الشمس، فناسب أن يكون هو الملك، وبإحيائية أخرى نلمس وكأن الكاتب يقول: لقد جعلت الأسد ملكًا على الغابة في حكايتي لسبب هام، وهو أن الأسد بين حيوانات الغابة كالشمس بين النجوم والكواكب، والأسد من الرموز والدلالات القديمة المستخدمة من قبل حضارات متعاقبة ومتعددة، ولقد كان الأسد رمزًا لبعض الآلهة عند بعض الحضارات القديمة، كما ويرمز الأسد أيضًا للعطف والتفاني، فهو يبذل نفسه لأولئك الذين يُجِلُّونه، ويحترمونه، ويقدرونه، ولذين يظهرون وفاءهم وولاءهم له، ولهذه الصفات وغيرها الكثير في الأسد، كان الكاتب موفقًا باختيار شخصية الأسد لتكون دالة على الحاكم القوي في سلطته، الأمين على شعبه وحاشيته.

(الغواص) الكلمة الثانية: هنا نرى الكاتب يعطف بكلمة الغواص على الأسد، والغواص: هو حيوان ابن آوى، وهو شبيه بالثعلب المعروف بمكره ودهائه، وعندما سُئِلَ الغواص عن سبب تسميته بالغواص أجاب: بأنه سُمي غواصًا لأنه يغوص في أعماق المعاني؛ لاستخراج الحكمة والعبرة، ويصل بذكائه وخبرته إلى ما لا يصله غيره، وابن آوى حيوان مشهور بالسرعة وكثرة التنقل، وله علاقة قديمة جدًا مع الإنسان، ومع الحضارات القديمة ومن أهمها الحضارة المصرية القديمة، فقد كان مشهورًا عند المصريين القدماء، إذ إنهم اتخذوا من حيوان ابن آوى رمزًا لإلههم المزعوم المسمى

(أنوبيس)؛ وهو الإله المسؤول على حد زعمهم عن حماية الجثث والمقابر، وعن تحنيط الموتى والاعتناء بهم. ونرى أن ابن آوى الغواص في حكاية الأسد والغواص كان يمثل دور الورع، الزاهد، العابد، الناسك، المنشغل بالعلم والحكمة، وهي نفس الصفات التي كان يتمتع بها ابن آوى في حكاية كليله ودمنة، ورأينا في الحكاية أن الغواص تقرب من الملك ليكون ناصحا أميناً له، كما هو الحال في حكاية كليله ودمنة.

-الاستهلال

يُعدُّ الاستهلال البداية الأولى لأي عمل فني، وقد بدأ صاحب الحكاية حكايته بحمد الله تعالى والثناء عليه، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحدث عن قدرة الله تعالى، ومثّل لها بأشياء كثيرة، ثم بين الحكمة والغاية من كتابته لهذه الحكاية، فقال: "وقد رأيت بتوفيق الله أن أجمع في هذه الكرايس، ما سنح لي من الكلام في الحكمة، مما أرجو من الله جل وعلا أن [هندية 2 ب] ينتفع به قارئه وطالبه" (السيد، 1978: 41). ثم بين أنه قَسَمَ حكايته إلى أبواب، فلم يجعلها متسلسلة الأحداث في باب واحد، بخلاف حكاية النمر والثعلب، والتي جاءت أحداثها متتابعة في تسلسل واحد من أولها إلى آخرها، وكل باب في حكاية الأسد والغواص تناول فيه صاحبها موضوعاً لا يمكن فصله عما قبله ولا عما بعده، فقال: "وجعلته مرتباً على أحد عشر باباً، مما أملت جميعه على لسان الأسد والغواص، للعدر الذي تقدم، وجعلته مختصراً مفيداً، ومن الله أستمد الإعانة، والتوفيق والهداية لأقوم الطريق" (السيد، 1978: 41). ولا شك أنه كلما كان الاستهلال مميزاً كان سبباً مُحَفِّزاً أكثر لجذب القارئ والمتلقي إليه، فلا بد من أن يبدأ الكاتب أو السارد باستهلال مميز ومُحَفِّزٍ للمتلقي، كفقرة أو جملة أو حكمة، تثير مشاعر وأحاسيس وعواطف كل قارئ، كمن يبدأ بآية، أو بحديث شريف، أو بلغز، أو بمَثَلٍ من الأمثلة المتوارثة التي لها شأن بين الناس.

ولا شك أن البدء والاستهلال بالحمد والثناء على الله جل وعلا، والصلاة بعد ذلك والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أجمل الاستهلالات وأقواها، كيف لا وهي الأصل لكل بركة. ثم قال: (ذكروا أن أسداً كان ملكاً على الوحوش)، فجعل أول كلمة من كتابه بعد المقدمة (ذكروا)، وكأنه يريد التهرب والتملص من شيء، وهذا ذكاء

وحنكة من الكاتب، فقد جعل الفعل ماضيا مبنيا على الضم ونسبه إلى غيره، فلم يذكر الفاعل صراحة، وإنما كَتَّى عنه بالضمير (واو الجماعة)، وباختيار الكاتب للفعل ذكروا، نراه وكأنه يريد أن يقول بإيحائية: لست أنا من أقول، ولست أنا من كتب هذا الكتاب وهذه الحكاية. فهو يظهر للمتلقي عدم معرفته بقائل الحكاية؛ ليبعد نفسه عن أي مساءلة، وحتى إنه جعل الفعل بصيغة الجمع (ذكروا)، أي أن هناك جماعة هم الذين قالوا هذا الكلام، فذكر الفعل والفاعل، ولكنه ترك الفاعل ضميرا؛ ليكون مجهولا لغاية في نفسه، ثم بعد ذلك جعل الحرف (أَنَّ) بعد (ذكروا)، والحرف (أَنَّ) يفيد التأكيد في الحقيقة، فكيف يُدْخِل حرفا مؤكدا على فعل (ذكروا) الذي يفيد التشكيك وعدم التأكيد في من قال هذه الحكاية؟! وكأنه يقول بإيحائية أخرى: إنها حكاية حقيقية، ولكي أبتعد عن المساءلة جعلت هذا الفعل، وإنما تبعته بالحرف (أَنَّ) لألفت انتباه القارئ لشيء ربما لم يكن منتبها له. فجعل فعل التشكيك (ذكروا)، ثم جاء بحرف التأكيد (أَنَّ)، فلو قلنا مثلا: الجو ماطر، فالجملة تحتل معنيين، معنى السؤال، أو معنى آخر وهو إعطاء معلومة، فنلمس أن هذا الخبر يمكن أن يدخله الشك، فيمكن أن يكون الجو ماطرا أو لا، أما لو قلنا: إِنَّ الجو ماطر، لأفادت باللغة تأكيد المعلومة. ولرب سائل يسأل: لماذا قال الكاتب (ذكروا) ولم يقل (ذُكِر)؟! والإجابة تكون في أن "الفرق بين (ذُكِر) و(ذكروا)، الأولى تحيل إلى السؤال (أين ذُكِر؟)؛ أي إلى الفضاء الذي ذُكِر فيه الخبر، أما (ذكروا) فتحيل إلى السؤال (من هم الذين ذكروا؟)؛ أي إلى أي الفاعل، ولأن صيغة ذُكِر هي المهيمنة في نسبة الأخبار. فهي إذا تركز على حضور الفضاء، وبالتالي على المصدر التاريخي للأخبار... وهذه الإحالة إلى الفضاء تؤسس إشاريا إلى التوثيق الذي يعطي للخبر المصدقية (إسماعيل، 1999: 46). ونلاحظ بإيحائية عميقة أن الكاتب قد جعل استهلاله بذكر الأسد، لما عُهِد عن الأسد من القوة والسلطة، والافتراس، فأراد أن يعطي تصورا عن طبيعة الملك، فقد حدده بالأسد، ثم أعطى صفاته، وأنه يحب شعبه ويحبونه، وهو مُجِب للسنة ومُطَبِّق لأحكام الشريعة، ونرى أن الغواص أحب أن ينصح الملك، مع حبه للسلطة، فأراد أن يظهر حكمته للملك من أجل المصلحة العامة، وأخفى في نفسه حبه في التقرب من الملك.

ولقد قسم الكاتب المقدمة في حكايته إلى فقرات أربع، ومما يظهر لنا أن القارئ جعل المقدمة مشتملة على خطابين؛ فالأول: هو خطاب ضمني مخفي، لا بد له من قراءة عميقة تفسيرية، وتأويلية، وتفاعلية بذات الوقت، بين الكاتب والشارد، والنص والمتلقي، عندها يلتقط المتلقي الإشارات ويوظفها في سياقاتها المختلفة، وتضمن هذا النص الاستراتيجية المثلى التي وضعها الكاتب ليتفاعل المتلقي مع الحكاية. أما الخطاب الآخر: فهو خطاب ظاهر لا يمكن إخفاؤه، فقد أظهر الكاتب المجهول للحكاية غايته من حكايته، وجعل ذلك في ثلاث فقرات مسهبا في بيان أسلوبه المتبع، واستشهاده بأقوال الحكماء، والشعراء والأدباء (إسماعيل، 1999: 106-110). والغواص يقف في صف الحاكم، وقد بين في أبوابه التي ذكرها أنه لا يجوز الخروج على أوامر الحاكم، والأبواب التي وضعها في الحكاية تعطينا إحائية بأن المستشار يجب عليه أن يتلطف ويتقرب من الحاكم، وأن يعطيه ما استطاع من النصيح والتوجيه. والكاتب يبين في مقدمته أهمية تقديم النصيحة لكل الناس وخاصة للملوك، وقد أبدى سبب جعلها على السنة الحيوانات، وفقد أشار أن الحكمة على السنة الحيوانات تجد قبولا وخفة على العقول والقلوب، وتطرب لها الأذان أكثر من لو كانت على السنة الناس. ولما كانت على السنة الحيوانات فهي طاردة للمل، ومريحة للأسماع، فاتخاذ الشخصيات الحيوانية كالطبيب الذي يجعل الدواء المر في طعام لذيذ تتلف له النفس ليخفي مرارة الدواء، وهي كمن يسرد الخرافات أمام الصبيان ليمرر إلى عقولهم الحكمة والعبرة، بأسلوب لا يملون منه، فيرسخ العلم في العقول. كما أن هذا الأسلوب كأسلوب الصياد الذي يضع الحَبَّ للطائر لا يقصد فيه إطعامه، بل من أجل صيده. فلا حرج من الحيلة والخديعة، إن كانت غايتها سامية موصلة إلى المنفعة والصلاح، فألم الجوع يختفي بعد الأكل، فالجوع يدعو الإنسان للأكل، وليس المقصود من الجوع تعذيب الإنسان، إنما جعل الجوع ليطلب الإنسان الطعام فيتقوى به على شؤون (السيد، 1978: 39، 40). والاستهلال في حكاية الأسد والغواص يرشدنا إلى أن الحكاية غنية بشتى أنواع المعارف والخبرات التعليمية، وأعطتنا صورة عن التعاون والاحترام والتقدير المتبادل بين الملك ورعيته.

3-بُنْيَةُ الشَّخْصِيَّاتِ وَدَلَالَتُهَا

تعد الشخصيات العمود الأساس الذي تقوم عليه الحكايات والروايات، فالكاتب ينتقي شخصيات حكايته وروايته بعناية؛ لأن كل شخصية تكون مقصودة لذاتها، كما وتعبّر عن مثيلاتها في الواقع، فلا يصلح مثلاً أن يكون الغزال أو العصفور ملكاً للغابة، وأن يكون الأسد من الرعية أو الشعب، فالأسد يُرمز به للقوة، والمُلك، والعظْمة، فيجوز أن يكون الملك في الحكاية أسداً أو نمراً، في حين لا يجوز ذلك مع حيوان ضعيف، فلا ينطبق على الغزال من صفات المُلك شيء، فهو ضعيف، وخَوَاف، وأليف، وشكله لطيف، لا يمكن له أن يضبط المتخاذلين والخارجين عن سياسة الدولة. ولا شك أن صاحب الحكاية المجهول استمد الشخصيات في حكاية الأسد والغواص من الواقع المعاش من حوله، وهذا ما أشارت إليه الدكتورة خيرية عمر التائب في بحثها الموسوم: (البعد التدميري في حكاية الأسد والغواص)، إذ إنها قالت: "إن الشخصيات المقدمة من قبل الراوي مستقاة من واقع تاريخي سياسي، لا يُنبئ عن واقع تجريبي شمولي، يظهر في أقوالها وأفعالها، وإن قَنَعَهَا بقناع حيواني، غير أنه شفاف، ومن خلال هذه الشخصيات يرمي إلى تقديم رؤية للعالم الذي يعيشه كما يراه وفق موقفه منه، ومحاولة خلق عالم جديد يتفق مع مستوى الوعي الديني لديه" (التائب، د ت: 83).

4. تنوعت الشخصيات في حكاية الأسد والغواص بين رئيسية وثانوية وكما يلي:

-بُنْيَةُ الشَّخْصِيَّاتِ الرَّئِيسِيَّةِ وَتَحْلِيلُهَا

لقد قامت حكاية الأسد والغواص على شخصيتين رئيسيتين، وقد مثلت هاتان الشخصيتان العمود الفقري والأساسي للحكاية، إذ إن أحداث الحكاية من أولها إلى آخرها قامت عليهما، وهما شخصية الأسد التي مثلت الملك، وشخصية ابن آوى التي مثلت الغواص الحكيم.

-الملك الأسد

يظهر لنا الأسد الملك في حكاية الأسد والغواص بمظهر الملك المُجِب لشعبه، وأن شعبه يبادله هذه المحبة، فقد كان يسهر ليناموا مطمئنين آمنين، وكان يتعب

ليرتاحوا، لكنه حمل مع تلك المحبة الحزم، فكان حازما، يعاقب على الأخطاء، لكنّ عقابه ممزوج بالرحمة والشفقة على المخطئ، خوفاً عليه وما يؤول إليه، وهو بذلك جمع الحزم، والشفقة، والرحمة، مع القوة، والحزم، وقد جاء في صفة هذا الملك أنه "حَسَنَ الطريقة في مملكته، محمودا في رعيته، قد ساسهم بأمرين، جمع الحزم فهِمَا: شدة في غير عنف، ولين من غير ضعف، قد جعل عطاؤه للغناء لا للهوى، وعقابه للأدب لا للغضب، يجلس بينهم متواضعا فيهم كأنه واحد منهم" (السيد، 1978: 40، 41). وقد كان محبا للسنة النبوية الشريفة، مطبقا لأحكام الشريعة، لا تأخذه في الله لومة لائم، وكان لا يقطع أمرا إلا بالمشورة مع أصحابه ومستشاريه. ولهذا فقد كانوا يحترمونه ويقدرونه، ومن شدة توقيرهم له كانوا لا يرفعون أبصارهم إليه؛ إجلالا وإكبارا له، وإعلاء لشأنه، وهذا الإجلال والتقدير كان يبادلهم فيه الأسد بتواضعه، وبحرصه على إسعادهم وتلبية رغباتهم، مع أن الأسد ملك الغابة، وأنه حيوان مفترس، ويمتلك القوة، والسيطرة، ويتغذى على اللحوم، فلم يعتدي على أحد سوى على الجاموس المفسد؛ لإفساده في البلاد وبين العباد، فقد أكل هو وحاشيته من جثة الجاموس، بعد أن حاك له الغواص مؤامرة دقيقة أودت بحياته.

- ابن آوى الغواص

والغواص هو حيوان ابن آوى، وهو من الحيوانات الضعيفة، التي لا تقوى على القتال، وهي من الحيوانات التي تأكل اللحوم، وتتمتع بالذكاء، والمكر، والخداع، وهو حيوان قريب من الثعلب في الشكل، وقد سمي غواصا في حكاية الأسد والغواص؛ لأنه يغوص في أعماق المعاني والكلمات، لاستخراج العبر والعظات، واستنباط الرأي السديد، وأخذ المعنى الرشيد، وفي بداية الحكاية لم يكن هناك دور رئيسي فاعل للغواص، لكنه سرعان ما تقرب من الملك، وأصبح من أصحاب القرار النافذ، ومن أصحاب المشورة الذين لا غنى عنهم حول الملك، ويلتقي الغواص مع الأسد في محبته للبلاد والعباد، ولكن كلا منهم ينظر إلى ذلك بطريقة مختلفة حسب ما يراها، فالغواص أحب بلاده وشعبه وهو خارج السلطة، والأسد أحب شعبه كذلك، وأحب

البنية السردية والتمثيل الرمزي للسلطة في العصر العباسي:

حكاية "الأسد والغواص" أنموذجًا - دراسة تحليلية

بلاده، ولكنه يختلف عن الغواص، بأنه هو الذي يمثل رأس السلطة، وهو المسيطر سيطرة تامة على الغابة.

فلا شك بعد ذلك أن القاسم المشترك بين شخصيتي الأسد والغواص أنهما يشتركان بمحبتهما للعباد والبلاد، "فإن الغواص والملك يعملان لصالح مشروع اجتماعي سياسي ديني واحد، وهو الحفاظ على وحدة الأرض، وإحياء السنة، وتنفيذ أحكام الشريعة بعد أن ظهر عدو ناشز يتمثل بالجاموس العُشِّي، يهدد وحدة الأرض والأمة، ولا تُمكن معه المصالحة، ولا يمكن أن يستقر المجتمع بوجوده" (إسماعيل، 1999: 30). والأسد والغواص شخصيتان تمثلان الإشكالية الكبرى، والعلاقة ما بين السلطة والمثقف، فالمثقف في واقع الأمر واسع الاطلاع، كثير الثقافة، لا يتوقف عند تخصص معين، بل يكون واسع الاطلاع على معرفة ولو باليسيرة بعدة تخصصات، وإن كان لا يتقنها كلها بشكل جيد، ولكنه يمتلك خلفية جيدة عنها في آن واحد، والمثقف هو جزء من الطبقة الاجتماعية، التي لا يمكن الغنى عنها. أما السلطة فتكون بيد الطبقة الحاكمة، وتنفرد فيها عن غيرها من الطبقات الاجتماعية، وإن القاسم المشترك الذي يجمع السلطة الحاكمة والمثقف، هو محبة الخير، والاهتمام بأمور الناس كافة، والاختلاف بينهما يمكن أن يكون بالرؤى والتطلعات والتطبيق العملي على أرض الواقع، لكن المصلحة واحدة، فهم يشتركون بالمحبة لبلادهم وشعوبهم، والسلطة يسعى أصحابها إلى الهدوء والاستقرار، أما طبقة المثقفين فهي دائما تسعى إلى التغيير والتجديد، فهم دائما يسعون إلى الأفضل (شخاترة، 2007: 183). أما الإشكالية الأخرى بين المثقف والسياسي، فتتمثل في أن "السياسي يملك القوة، والمثقف يملك الرأي والحكمة والعلم، فالأول يخشى من زوال ما عنده حين يخترقه الآخر. أما المثقف فلا يخشى على ما عنده، بل إنه يعمل على إيداعه عند الآخر. وهذا ما كان الغواص يحرص عليه في جل مهمته، إذ يرى إن واجبه الأخلاقي ومسؤوليته مواطنٌ يدفعانه إلى المشورة وإبداء النصيحة. وإلا فإن علمه سيكون عليه حجة يوم الحساب (إسماعيل، 1999: 31).

-بُنية الشخصيات الثانوية وتحليلها

وتعد الشخصيات الثانوية المكملة للشخصيات الرئيسية، فإذا ما غاب شيء في الشخصيات الرئيسية جاءت الشخصيات الثانوية وأكملته، وسدت ثغرة النقص فيها، وفي حكاية الأسد والغوص ظهرت الشخصيات الثانوية على نوعين؛ الأول منها: هي شخصيات فاعلة لها دور في تنامي الأحداث والوقائع، كالنمر والجاموس، وحاشية الملك، وزوجة الملك، والتاجران، وغلّام التاجر الذي دسّ الرسالة في الأمتعة، واللوام صديق الغواص. والنوع الثاني: شخصيات ثانوية أخرى لم يكن لها أي دور في تنامي الأحداث والوقائع، ونرى أن الكاتب قد اكتفى بذكرها فقط في الحكايات المتفرعة عن الحكاية الرئيسية الكبرى. وقد جاءت هذه الشخصيات كما يلي:

--الجاموس المفسد في الأرض؛ والجاموس حيوان كبير الجثة، حيوان معروف بضخامته، وبأنه نباتي لا يأكل إلا العشب، ويتّصف بالعشوائية والتخبط في الأفكار والتصرفات، كما يتصف باللامبالاة والبلادة، فهو لا يفكر في عواقب الأمور، وأغلب تصرفاته أنيّة، دون أدنى تفكير أو تحضير مسبق، ولربما وقع منه الإيذاء للآخرين دون قصد منه، وبالرغم من ضخامة جثته وعظمتها، لكنها لم تُفده أبدا في إصلاح تصرفاته وأفكاره، فقد وقع ضحية مكيدة أعداها له الغواص بالاتفاق مع الملك، وقد ذكر الكاتب ذلك بقوله: "وإنّ جاموسا تغرّب في غَيْضَة في جواره، فأكل منها وسَمِن، وأُشِر، وبَطِر، وعَظُمَت خَلْقَتُهُ، واشتدت قُوَّتُهُ، حتى شَرَّد الوحوش عن مواطنهم، وطردهم عن مواضعهم" (السيد، 1978: 43). فقد اتفق الغواص مع الملك على الإيقاع بالجاموس باستخدام الحيلة، بسبب ما ظهر منه من فساد وإفساد في البلاد والعباد.

-- صديق الغواص: ولم يذكر الكاتب اسمه؛ لكن ذكر أنه كان يقدم النصائح للغواص بأن لا يقترب من السلطة؛ لأنّ الحُساد لن يتركوه، بل سيوقعون بينه وبين الملك، وفعلا هذا ما حصل، فقد حذّر الصديق صديقه، لكنه ما سمع النصيحة. وتقرب من الملك، وحسده الأعداء على المكانة التي حصل عليها عند الملك، وأخذوا يحيكون له المؤامرات والمكائد، وهذا واقع مرير معاش في تلك الحقبة، فإن الحاشية من وزراء ومستشارين

البنية السردية والتمثيل الرمزي للسلطة في العصر العباسي:

حكاية "الأسد والغواص" أنموذجًا - دراسة تحليلية

ومقربين من الملوك إذا رأوا غريبا عنهم تقرب من الملك، حاولوا أن يفسدوا العلاقة بينه وبين الملك، حتى لا يشاركهم في السلطة والمال والجاه.

--حاشية الملك: وكانوا من الوزراء والمستشارين؛ وكان بعضهم يُظهر ولاءه للملك والبلاد، ويُبطن غير ذلك، فكان بعضهم لا يهتم إلا بالبقاء في السلطة، وأن يبقى متمتعاً بالمال، والجاه في منصبه، دون نظر إلى بقية الشعب. وإن هذه التهم التي حاكمها ورتبها المقربون من الملك للغواص ليست وليدة اللحظة، بل هي تهم خطيرة جداً، تدل على سوء سيرة وسريرة، وسابقة خطيرة في الخيانة والافتحام، إذ إن هذه التهم لا تُدَمَّر العلاقة بين الأسد والغواص فحسب، بل من شأن هذه التهم أن تدمر أركان وزوايا الدولة كاملة، وتَمَحِّقُهَا مَحَقًّا، وهذا يصور لنا أن الزمرة التي كانت حول الملك في تلك الحقبة هي زمرة فاسدة، فهي فئة تكره الإصلاح والمصلحين، فهم يقدمون الفساد والمفسدين، بالإضافة إلى تقديم مصالحهم الشخصية على أي شيء آخر، حتى ولو كانت على مصلحة العباد والبلاد (التائب، دت: 86، 87).

--النمر: ذلك النمر الذي أظهر عصيانه للملك وما يصدر عنه من أوامر، فاستطاع الغواص بذكائه وحنكته أن يتخلص منه لصالح الملك كما تخلص من الجاموس من قبل، وشخصية النمر تصور لنا حالة واقعية من التردّي السياسي، التي كانت تمر بها الدولة في تلك الحقبة، وكانت شخصية النمر مقتصرة بالظهور على أنه كان فاسداً مُفسداً، وأن الغواص قد حاك له حيلة فأوقعه بها، كما أوقع بالجاموس من قبل.

--اللوام: وهو من أصدقاء الغواص، فقد لام الغواص بداية على حبه التقرب من الملك، وحذّره من ذلك مراراً وتكراراً، لكنه لم يستجب لنصائح الصديق اللوام، ثم لامه أخرى على ما حلّ به، بعدما حذّره من مغبة القرب من السلطة والملك، وأخبره أنك أنت من أوصل نفسه إلى هنا، وهذه نتيجة متوقعة؛ لأنّ الحُساد من الوزراء والمستشارين، لن يتركوك من بعد أن وثق بك الملك.

--أعداء الغواص: نلمس من أعداء الغواص أن كل ذي نعمة محسود؛ وفي الحديث الشريف الذي صححه وحسنه غير واحد من الحُفَاط: عن سهل بن عبد الرحمن الجرجاني، عن محمد بن مطرف، عن محمد بن المنكدر، عن عروة بن الزبير، عن أبي

هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا قال: "استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان؛ فإن كل ذي نعمة محسود" (الطبراني، د ت: 346). حسده الحاشية على ثقة الملك وقربه منه، فأخذوا يفكرون في مكيدة يوقعون الغواص بها، وفعلا اتفقوا على ثلاث تُهم يوجهونها للغواص، فإذا خلص من واحدة لم تتركه الثانية، وبحثوا عن أكثر شيء يزعج الملوك، فوجدوا أنها (الخيانة، والاختلاس، وإفساد الحرم، والقدح في الدولة)، وهذا يدل على أنهم ليسوا مجرد أعداء وحُساد عاديين، بل لهم باع طويل في الخيانة، والتآمر، والحسد، وقلة الضمير، ويظهر ذلك عندما أراد الملك أن يبطش بالغواص، إذ إنهم أظهروا بأنهم يريدون نصح الغواص، وأن ما فعلته شيء عظيم في أركان الدولة، فقد سرقت المال، وأفشيت سرّ الملك، ولم تصن زوجة الملك، وبهذا فأنت تقدح بالدولة. فهم متمرسون في هذه الأمور، وهم يد واحدة، وزمرة فاسدة ضد المصلحين في المجتمع، وهذا للأسف واقع، وحقيقة مرة في الحياة، وعلى مرّ العصور والأزمان، فكلما ظهر مُصلح مُخلص، لاقى من الأعداء شيئا كثيرا، فينقلب حرصه على الإصلاح عليه هَمًا وَغَمًا، وربما أتهم هو بالفساد في جوانب الدولة كما حصل مع الغواص، فالذي أراد الإصلاح سُجن، بينما الفاسدين والمفسدين يسرحون ويمرحون في جنبات الدولة، وهذا واقع أليم (السيد، 1978: 115).

--الحَظِيَّة زوجة الملك: والحَظِيَّة جمعها حَظِيَّات، وحظايا؛ وهي المرأة الجميلة التي تُفَضَّل على غيرها في المحبة لأسباب كثيرة، منها جمالها، وذكاؤها، ولباقتها، ورشاقتها، وهي التي رمى أعداء الغواص كتابا مزورا باسمه في حجرتها، حتى يوهموا الملك أن الغواص يخونك بأهلك، ويكتب لزوجتك من خلفك، وهي التي حملت الكتاب للملك، وقد كان موجها لها زورا وبهتانا من الأعداء باسم الغواص.

--التاجران؛ فالأول هو الذي رافقه الغلام الذي دسّ الكتاب في الأمتعة، وهي حيلة من أعداء الغواص. والتاجر الثاني هو من رافقه الغلام الثاني الذي وضع المال بين أمتعة التاجر، وهي حيلة أخرى من الأعداء للإيقاع بالغواص والكيد به.

البنية السردية والتمثيل الرمزي للسلطة في العصر العباسي:

حكاية "الأسد والغواص" أنموذجًا - دراسة تحليلية

--غلام التاجر الأول، وغلام التاجر الثاني؛ فالأول الذي دسّ الرسالة في الأمتعة: واقتصر دوره على وضع الكتاب في رحل التاجر. أما الثاني فقد كان دورة مقتصرًا أيضًا على وضع المال في أمتعة التاجر الثاني.

--السجناء؛ وهم الذين وضعهم الملك في السجن لاختبار الغواص والتأكد من براءته، وكنا من أصحاب الملك، ومن أهل الإصلاح والصلاح، وإنما جعلهما الكاتب من أصحاب الملك ليأمن نصيحتهما له، فالملك جعلهما رفيقا الغواص في السجن ليأمن لهما الغواص، ويبوح بما في داخله إن كان هناك أي خيانة من قبله. وعندما حبسهما الملك لم يوضح لهما سبب الحبس، وكان قاصداً ذلك، فثلاثتهم لا يعلمون سبب سجنهم، والقصد من ذلك أن يبوح الغواص لهما بكل ما لديه.

وهذه الشخصيات سابقة الذكر كانت شخصيات ثانوية، لكن كان لها دور في تنامي الأحداث والوقائع. ثم ذكر الكاتب المجهول بعد ذلك شخصيات كثيرة، لكن هذه الشخصيات لم يكن لها أي دور، وكانت بعيدة كل البعد عن تنامي الأحداث والوقائع، ولم تكن تؤثر على مجريات سير الحكاية، ويمكن القول: إن هذه الشخصيات كانت ثانوية من الدرجة الثانية أو هامشية، وقد ذُكرت أغلب هذه الشخصيات في حكايات داخلية صغيرة، متفرعة عن الحكاية الكبرى (الأسد والغواص). وهم: صاحب الشرطة، والحكماء الذين كان يستشهد بأقوالهم وحكمهم، والشيخ الذي كان يلبس زيّ الصوفية، والناس الذين حضروا ضرب الغلام، والملك الهندي، ووزيره، وابنه، والمعلم الذي كان يعلم الصبية، والرجل الذي مر بالمعلم وهو يعلم الصبيّة من حوله، والفتيان اللذان كانا يتنادمان، ولكل واحد منهما زوجة، وكان لزوجة أحدهم جارية مولاة لها، ومُجلّد الكتب الذي كان يجلد الكتب، وأراد أن يُجلّد دفترًا لأحد أمراء بني حمدان، والأفعى، والثعلب، والرجل الذي طلق زوجته في أحد الحكايات المتفرعة عن الحكاية الكبرى. وفي حكاية أخرى فرعية ذكر الملك، والمجنون، والعوام، والحاشية، والعجوز الأعرابية، وزوجها. وفي حكاية فرعية أخرى ذكر الملك والوزير والعدو الذي كان من حاشيته، والغلام الناقص النحيظة، المدخول السيرة، والأعرابي الذي كره جملة. وفي أحد

الحكايات القصيرة الفرعية الأخرى ذكر الرجل الذي سلّم الرقعة للحاجب ودخل لمقابلة الملك، والرجل الذي تزوّج من امرأة بها تَقَرُّز، والرجل الذي حسده أقرباؤه بسبب صلاحه وقربه من الملك، وغلّمان الأمير، وحاجب بني حمدان، والرجل الذي حلف أن لا يحضر جنازة، وأن لا يلبي دعوة أحد، والحَمَّالان اللذان حملا الجثة المقطوعة الرأس، ونساء البادية، والرجل الذي سألهن كيف تعيشون في هذه الصحراء، وندماء الخليفة المعتمد، والنقّاش الذي استخرج الشّظية التي من قصب، والغلام الذي أمر المعتمد بقطع يده، ثم عفا عنه لما رآه من ألم الشوكة، والتّحرير وهو العالم الحاذق، والغلام، والخادم، والصبي الذي كان يعمل فَرّاشاً، وملك من ملوك الفرس الذي لم يذكر اسمه، وخادمه، ووزيره، وأهل الوزير الذي قطعت رجله، والرجل الشجاع الذي كان له مُهر، وكان له أعداء يحسدونه على ما هو فيه، وغيرهم كثير من الشخصيات التاريخية التي ذكرت، والتي ستذكر تحت عنوان البِئْية الاجتماعية، وذلك على أساس أنها استذكار لشخصيات تاريخية، لها وزنها في التاريخ.

--البِئْية المكانية

يعد المكان من العناصر المهمة في الحكاية، والرواية، والقصة، فالمكان له دور فعال جدا في تنامي الأحداث والوقائع، إذ إنّ له تأثيرا كبيرا على الشخصيات، وعلى نفسياتها الداخلية والخارجية، وإننا لا نجد تحديدا للمكان في الحكاية الأم الكبرى (الأسد والغواص)، إلا بعض الأماكن القليلة، وهذا ما أشارت إليه الباحثة خيرية التائب بقولها: "غاب المكان كما غاب الزمان في الحكاية الأم ...، وكثر ذكر المكان في الحكاية الوليدة مقارنة بزمانها (التائب، د: 90). ويظهر لي أن ما ظهر من المكان في حكاية الأسد والغواص انقسم إلى قسمين، مكان مفتوح، ومكان مغلق، كما يلي:

--مكان مفتوح

يعرف المكان المفتوح بأنه المكان الذي لا يحده شيء في جهاته الأربع، مثل: البحار، والمحيطات، والصحراء، والمدينة، والشارع. ويعد المكان المفتوح من الآليات والتقنيات السردية التي يختارها الكاتب بعناية لما لها من أهمية، فهو يعكس انفتاح

البنية السردية والتمثيل الرمزي للسلطة في العصر العباسي:

حكاية "الأسد والغواص" أنموذجاً - دراسة تحليلية

النفوس والفكر لدى الشخصيات الحكائية، وتكون الأحداث في المكان المفتوح كبيرة، فهو الفضاء الذي تسبح فيه الشخصيات، ولقد كان المكان المفتوح أكثر ظهوراً في الحكاية من المكان المغلق، فذكر الجبل، والناحية، والأرض، والمدينة، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

--المواضع: فقد جعل الكاتب المكان مهماً؛ ولكننا نستشّف من ذلك أنه مكان سيطرة وحكم الأسد، "ذكروا أن أسداً كان ملكاً للوحوش في بعض المواضع" (السيد، 1978: 41).

--الغِيَاض: وقد جاء في الحكاية "وإني مررت ببعض الغياض، وقد أطلقت في ناحية منها بازا، ...، كان هذا الموضع موضعى، ...، كان مثله مثل المملكة التي غلب جندها على مَلِكِهَا" (السيد، 1978: 49-51).

--مدينة القسطنطينية: وقد جاء في الحكاية "لما أنفذ شهربراز لقتال الروم ضَيْقَ على ملكهم في القسطنطينية، ...، وعبر خليج القسطنطينية، ...، فجمع الأكابر منهم في المملكة" (السيد، 1978: 78، 79).

--البادية: وقد جاء في الحكاية "كان مبغضاً للبادية، ...، إنه قتل كثيراً من سكان البادية، ...، وذكروا أن بعض الملوك لا يفتح مدينة إلا خَرَبَهَا" (السيد، 1978: 133، 137).

--البلدان: وقد جاء في الحكاية "وترى امتناع الغلمان في البلدان، التي لا يُطلب منهم فيها هذه الحال كامتناع الرجال. وإجابة الرجال في البلدان، التي يُطلب ذلك منهم كإجابة الغلمان، ...، وكان المدني يقيم في العراق، ...، والعراقي يقيم في المدينة" (السيد، 1978: 118، 119).

--مكان مغلق

يُعرف المكان المغلق بأنه المكان الذي تحده حدود وجدران، كالغرفة، والمسجد، والبيت، والمقهى. وتتمثل أهميته بأنه يرسم الخطوط العريضة والعامة في الأفعال الروائية والقصصية، ولقد كان المكان المغلق أقل ظهوراً في الحكاية من المكان

المفتوح، فذكر البيوت، والدكان، وبيت الصديق، ودار الملك، والسجن، ومن ذلك أيضا:

--بيت الحظية: وقد جاء في الحكاية "وطرحوا الكتاب في مكان الحظية ومرقدها في بيت الملك" (السيد، 1978: 122).

--الحبس: وقد جاء في الحكاية "فلما جمعه الحبس والغواص، ...، فذكر أنه لا يعلم شيئاً في حبسه، ...، فلما استقرا في الحبس أنفذ إلى آخر، ...، فلما دخل الحبس سألاه عن حاله" (السيد، 1978: 145).

--المصانع، والبيت المنعزل: وقد جاء في الحكاية "فأمر بالمصانع فأتخذت، ...، وذكر أن عجوزاً أعرابية كانت في بيت منعزل" (السيد، 1978: 150، 152).

--دار القاضي: وقد جاء في الحكاية "فلما غدا من غد إلى دار القاضي، وجد صديقه مع الشهود" (السيد، 1978: 134).

--بيت العبادة: وقد جاء في الحكاية "ويبست الغدران، ...، ثم انقطع إلى بيت من بيوت العبادة في بعض الجبال، ...، وكان الملك يزوره في بيته" (السيد، 1978: 208).

--البنية الزمانية

يعد الزمن من العناصر المهمة جداً في الحكايات، والروايات، والقصص، إذ يوصف بأنه أحد المحركات الرئيسية لمجريات الأحداث، ولا يمكننا أن نتصور حكاية أو رواية من دون زمن، سواء أكان زمناً محدداً، أو زمناً غير محدد (مفتوح). ولا بد من الإشارة إلى أن الأحداث والوقائع في الحكاية، كانت تسير وفق ثلاثة أنواع من الزمن، هذا بالنسبة للزمن الحكائي داخل الحكاية، فإما أن يكون الزمن المسرود في الحكاية زمناً حالياً، بمعنى أنه يسير بشكل طبيعي ومنطقي للأحداث والوقائع الجارية، وإما أن يكون زمن استرجاع للأحداث، وهو ذكر أحداث حدثت وانتهت في الماضي، وإما أن يكون زمن استباق، وهو الزمن المستقبلي، أي التنبؤ، والتوقع لأحداث مستقبلية، إما بتوقع نتائج معينة، أو بتوقع بعض الأحداث التي من الممكن أن تحدث مستقبلاً مع إحدى شخصيات الحكاية. والزمان يلعب دوراً مهماً في تعميق الشعور بالأحداث والوقائع، من خلال زمن حدوثها، والنقاد يفرقون بين زمانين في هذا الموضع: الأول زمن

البنية السردية والتمثيل الرمزي للسلطة في العصر العباسي:

حكاية "الأسد والغواص" أنموذجًا - دراسة تحليلية

القصة، وهو الزمن الحقيقي للحكاية أو الرواية، بمعنى زمن وقوع الأحداث أو كتابتها، وهو زمن واحد ثابت لا يتغير، والآخر زمن السرد، وهو الزمن الذي يقوم فيه السارد بتقديم حكايته أو سردها، وهذا الزمن ليس بالضرورة أن يكون هو ذاته زمن وقوع الأحداث أو كتابتها، وإنما زمن السرد يمكن أن يتعدد بتعدد المكان، والزمان، والساردين للأحداث. ولقد جاء الزمن في حكاية الأسد والغواص كما يلي:

--زمان محدد

نلاحظ أن زمن حكاية الأسد والغواص غير محدد في أغلب الأحيان إلا ما قلّ منه، وهذا ما تؤكدُه الباحثة خيرية التائب بقولها: "وقد نمت أحداث الحكاية في زمن خال من التحديد، ولم يذكر الراوي تحديدا زمنيا في الحكاية الأم، إلا في مشهد انتصار الغواص على الجاموس" (التائب، د ت: 89). وتقصد الباحثة هنا بالحكاية الأم: الحكاية الكبرى (الأسد والغواص)، وهي بذلك تستثني الحكايات المتفرعة عنها، إذ إننا نجد بعض الأزمنة المحددة في الحكايات الفرعية. أما الزمن المحدد في الحكاية الأم الكبرى فهي بعد مشهد انتصار الغواص على الجاموس، عندما جاء للملك مُظْهراً أنه يريد وداعه، "ثم إن الغواص صبر بعد الظفر ثلاثة أيام" (السيد، 1978: 104). ومن الأزمنة المحددة في الحكايات الفرعية، على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

--في الحكاية الفرعية: قصة كسرى أبرويز وشهربراز في قتال الروم "جاءت ريحٌ في الليل، قطّعت المراكب وأدّتها إلى نحو عسكر شهربراز" (السيد، 1978: 79).

--حكاية فرعية: الرجل صاحب الدين الذي اشتكى للقاضي عدم سداد الدين "وأن خصمه سأل الشهود أن يحضروا معه ذلك اليوم ليشهدوا عند القاضي، ...، فلما غدا من غد إلى دار القاضي وجد صديقه مع الشهود" (السيد، 1978: 134).

--الحكاية الفرعية: حكاية الرجل المنقطع إلى الحزم وأصدقائه الذين خذلهم العجز "فَسَلِمَ بذلك زمنا طويلا، فكان أولئك العجزة يَتَطَرَّحُونَ في الطرقات، فتنال منهم اللصوص والوحوش، فاتفق في بعض الأيام، ...، وخرج الحازم ذلك اليوم على عادته، ومعه قوم من أصحابه، ...، لو وقعت موقعك لكنت منذ زمان في المقل، ...، ولولاه

لكننت منذ زمن مع من هلك من أصحابكم، وسلامتي إلى الآن معي فضل" (السيد، 1978: 99-101).

--حكاية الرجل الذي قتل آخروأراد الهرب، "وطلبت الباب، فلم أزل أمشي ولا أدري إلى أين أقصد، والليل منتصف" (السيد، 1978: 176).

--في حكاية الحجاج، وخالد بن يزيد "فصبر حتى جن الليل فجاء إلى عبد الملك، ...، ووالله ما على وجه الأرض اليوم قوم أحب إليّ منهم" (السيد، 1978: 135، 136).

--زمان مفتوح غير محدد

إن الإشارة إلى الزمن المفتوح في هذه الحكاية أكثر من الإشارة إلى الزمن المحدد، وهو الطابع الغالب على الحكاية، وقد تجلّى ذكر الأزمنة دون تحديد، ومن ذلك:

- في وصف السارد لمشهد الغواص مع صديقه "فقال له صديقه ذات يوم" (السيد، 1978: 44).

- في حديث الراوي المجهول في التعريف بابن أوى الملقب بالغواص "أحب يوميه إليه يوم خلا فيه بفكره ونظر في كتبه" (السيد، 1978: 43، 44).

- في نصيحة أحد الحكماء لرجل عندما قال: "فلا تريه في المستقبل كما لا تتكل في الغرسة التي تفرسها أن تسقيها عاما من الأعوام، وتظلمها في باقي الأيام" (السيد، 1978: 59).

- في خطاب الغواص لنفسه "إن المرء ليحتني حولا لصحة حولين، ...، ويتكلف المشقة أياما، ليصح جسمه مدة أيام، تفنى وأعوام لا تبقى" (السيد، 1978: 205).

- في خطاب الغواص لنفسه "إن المرء ليترك الشهوات مدة من الزمان، ...، وإنما تصبرين مدة يسيرة من الزمان" (السيد، 1978: 206).

وقد تعدد زمنا الاستباق والاسترجاع في الحكاية، ومن أبرز المشاهد في الاستباق: استباق الغواص للزمن، حينما أراد التقرب من الملك، وأخذ يتخيل الزمن المستقبلي، وأنه سيصبح مستشارا قريبا من الملك، وأن الحال سيتغير من حال إلى حال أفضل منه. وبعد أن سجن أصبح يتخيل ويتوقع ماذا سيحل به في المستقبل، هل سيقتل؟ أم

البنية السردية والتمثيل الرمزي للسلطة في العصر العباسي:

حكاية "الأسد والغواص" أنموذجاً - دراسة تحليلية

ستظهر براءته؟! أما الاسترجاع فهو عكس الأحداث التي جرت مع الغواص، إذ إنه سُجن، فأخذ يتذكر أن صديقه نصحه في الزمن الماضي، بأن لا يتقرب من الملك، لكنه هو الذي أصّر على ذلك، وهو الذي أهلك نفسه.

-- الحبكة أو العقدة

لقد عَرَفْنَا الحبكة في الفصل السابق بأنها: أعلى نقطة في التأزم الذي يسبق الحل، والتي يأتي من بعدها الانفراج في أحداث الحكاية، وتعرف أيضاً: أنها مجموعة من الحوادث الكبرى الدائرة في الحكاية أو الرواية أو القصة. وإن الناظر في حكاية الأسد والغواص يجد إتقاناً في حبك الكاتب للأحداث والوقائع في حكايته، إذ إن كل حدث يعبر عن جانب من جوانب الشخصيات، كما ويُعَمِّدُ لحدوث آخر بعده، فأحداث الحكاية بدأت بالإثارة والتشويق من أولها، فَذُكِرَ أن الملك كان يعيش مع جماعته، يحبهم ويحبونه متفقيين على تقديم مصلحة الدولة على أي شيء آخر، وهو معهم ما بين ترغيب وترهيب، يحب قومه محبة الأب الحنون، ويعاقبهم إذا صدر الخطأ من أحدهم، لا لأنه يكرههم بل لأنه يسعى بهم لأن يكونوا الأفضل، فالأب لا يعاقب ابنه إلا خوفاً عليه، وبدأت الأحداث بالتنامي، عندما بدأ الجاموس يعيش فساداً في البلاد، فبدأ التوازن بالاختلال، وتنامت الأحداث إذ إن الغواص أراد التقرب من الملك لنصحه، وبنفس الوقت للحصول على أحد المناصب الرفيعة في الدولة، فما زال به صديقه يمنعه خوفاً عليه من بطش الملك، فتنامت الأحداث بعد أن قتل الجاموس، وتقرب الغواص من الملك، فحسده أعداؤه، وأخذوا يفكرون بحيلة ومكيدة له لا يخرج منها أبداً، ففكروا له بثلاث مكائد، بحيث لو خرج من واحدة لا يخرج من الأخرى، وتنامت الأحداث، وبدأت الأحداث بالتشويق عندما أوقعوا كتاباً في حجرة حَظِيَّةِ الملك، والحَظِيَّة: هي الزوجة أو المرأة الجميلة المقربة من الملك كما مر بنا سابقاً، وكانوا قد كتبوا هذا الكتاب على لسان الغواص للحظيَّة، فعندما علم الملك غضب قليلاً، لكنه سرعان ما التمس عذراً للغواص، وقال: لعلها تُهمَّة من أعدائه ملفقة. ثم اتهموه بسرقة المال وإفشاء الأسرار، وهنا أخذت الأحداث بالتنامي إلى حين جلوس أعداء الغواص مع الملك، فقلبوا ثقة الملك للغواص شكاً وريبة، وأخبروه أنه لم يكن

زاهدا، ولكنه كان يُظهر الزهد والطهارة لكي يتقرب من الملك، ثم إذا تمكن عاث فسادا في البلاد والعباد، فبطش به الملك وأمر بسجنه، فكانت هذه ذروة الأحداث التي سجن الغواص بعدها ظلما وزورا وبهتانا، ولكن الملك كان يشك بهذه التهم الموجهة للغواص، لمّا رأى منه من الإخلاص والوفاء، بعد ذلك بدأت الحبكة أو العقدة بالنزول مرة أخرى من ذروتها، وذلك عندما سجن الملك رجلين من رجاله مع الغواص ليختبره بذلك، وفعلًا تبين صدق الغواص، وتأكد الملك من كتاب الحِطْيَةِ، فوجده قد أُلقي إليها ولا تعلم من ألقاه، ثم جاء الغلام وضربوه، وُجِئ بالتاجر فأقرّ أن المال إنما هو من أعداء الغواص، ليفسدوا بينه وبين الملك، ثم تبين أن قصة إفشاء السر ملفقة، فظهرت براءة الغواص، فأخرجته الملك من السجن، وهنا كان الحل والانفراج، وأمر الملك بقتل الأعداء لكَذِبِهِمْ وافترائِهِمْ على الغواص، ومن قبل ذلك خيانتهم وكذبهم على الملك، ثم تستمر الأحداث بالتراجع والنزول بعد أن ظهرت براءة الغواص، إذ اعتذر منه الملك، وعرض عليه أن يكون من المقربين، لكنه رفض ذلك، وأثر على نفسه أن يخلو في أحد بيوت العبادة؛ ليتقرب من ربه عز وجل، مع بقائه المستشار الأمين الذي بقي الملك يستشير به إلى أن فرّق بينهما الموت، وهنا كانت نهاية الحكاية، وهي آخر انفراجة في الحكاية. إذا فإن الناظر عن بعد لهذه الأحداث وكأنه يجد أكثر من حبكة في الحكاية، وكلها قد حيكت بدقة وإتقان.

5. بنية الحوارات والخطابات السردية

ضمّن السارد أو الكاتب المؤلف للحكاية حكايته بعدا دينيا، إذ إننا نجده يصف الدنيا بأنها دنيا غرّارة، تغرّ أصحابها، وأن الدنيا لا تُغني عن الآخرة، وأنه يريد نصح الملك لأن بصلاحه صلاح البلاد والعباد، ويظهر البعد الديني أيضا باستحضاره شخصيات من الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وشخصيات لخلفاء عُدُول من عصور متعددة، كما جعل فيها بعدا فلسفيا عميقا من خلال ضرب الأمثلة والحكايات الداخلية، واستحضار شخصيات تاريخية حقيقية، وأخرى يغلب عليها الوهم والخيال، وإننا نلمس الدقة في انتقاء الكاتب أو السارد الأول للحكاية لمصطلحاته في الحوارات الدائرة، سواء الحوارات بين الشخصيات الرئيسية، أو الحوارات بين

البنية السردية والتمثيل الرمزي للسلطة في العصر العباسي:

حكاية "الأسد والغواص" - نموذجًا - دراسة تحليلية

الشخصيات الفرعية، وحتى الشخصيات المستدعاة من التاريخ في الحكايات الصغيرة الداخلية، ونلاحظ على حكاية الأسد والغواص أن السارد فيها كان قليل التدخل في النص، وكانت تدخلاته هامشية نوعاً ما، إذ جعلها مُنصبةً على ترتيب الوقائع والأحداث، دون تدخل في مجرياتها، فكان دوره تنظيمياً ولم يتجاوز ذلك، فلم يتدخل في الشخصيات، لا في تقييمها ولا في تقويمها، ولا في تصنيفها والحكم عليها، لكننا نلاحظ من خلال المجريات والأحداث، ومن خلال حوارات شديدة الإيقان، ومن خلال الحوارات والنصوص الداخلية التنظيمية، أن السارد متمكن جداً من الشخصيات، وكأنه واحد منها، لكن من غير تدخل منه، وقد ظهر ذلك من خلال حديثه عن بواطن الشخصيات في بعض المواضع، وعن الأحداث التي دارت بين الشخصيات عند تقنية التوقف عن الحوار، ولقد ظهر السارد في حكاية الأسد والغواص على عدة أشكال، كما يلي:

السارد الأول: هو صاحب الكتاب، أو كاتب الحكاية المجهول؛ إذ إنه ابتداءً الحكاية بحمد الله تعالى والثناء عليه سبحانه وتعالى، ووصف الله جل في علاه بصفات الجلال والكمال، وبيان بعض مواطن عظمته وقدرته في مخلوقاته، ثم صلى وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بيّن سبب وضعه لهذا الكتاب، وبين في مقدمته أنه رتب حكايته على أحد عشر باباً، وجعله على لسان الحيوان، وأنه جعله مختصراً مفيداً (السيد، 1978: 39-41).

السارد الثاني: وهو السارد الضمني الداخلي، أو السارد الافتراضي، أو المساعد؛ وهو سارد مجهول، لم يصرح الكاتب باسمه، ولم يصرح هو باسمه كذلك، وقد جعله الكاتب داخل الحكاية، ومع ذلك لم يتدخل في مجرياتها، ولا في أحداثها، ولا في شخصياتها، فهو سارد للأحداث فقط وليس جزءاً منها، وقد كان دوره كما ذكرت سابقاً مقتصرًا على ترتيب الأدوار، والأحداث والوقائع. والكاتب المتمرس الذي هو من يحيط بفنون الكتابة، فيجعل هذا النوع من الساردين في حكاياته ورواياته، محاولاً التملص من المسؤولية واللوم الذي من الممكن أن يقع عليه، ومظهرًا براعته وتمكنه من النص، دون أن يترك أثراً خلفه لأي مسؤولية متوقعة من الحاكم أو من ولاته.

السارد الثالث: ويتمثل في أصوات الشخصيات المذكورة في الحكاية؛ وهو سارد غير حقيقي من جهة أنها شخصيات حوارية حقيقية، فالأسد، والنمر، والجاموس، وابن آوى، هي حيوانات موجودة على أرض الواقع، لكن لا يمكن أن يُتصور لهذه الشخصيات أن تقيم حواراً، ولكنه كنى بهذه الشخصيات عن شخصيات حقيقية، من الحكام والسلاطين ومستشاريهم، وقد وجدنا أن هذا الشكل تفرع عنه عدة ساردين، فكل شخصية ذكرت في الحكاية قامت بسرد جزء من الوقائع والأحداث الدائرة في الحكاية.

ويمكن أن يتعدد عدد وأشكال الساردين في الحكايات والروايات، فكتاب الحكاية المجهول هو سارد خارجي للحكاية، فلم يتدخل في أحداثها، واستغنى عن شخصيته، فلم يجعلها من ضمن الشخصيات الحكائية، ثم جاء من بعد ذلك المحقق للحكاية الدكتور رضوان السيد، فهو بذلك سارد آخر للحكاية، ودوره توقف على سرد الأحداث ونقلها كما هي فقط، والفرق بينه وبين السارد الضمني المرتب للأحداث داخل الحكاية، أن المحقق للكتاب سارد خارجي، ومُنظَّم للأحداث والأدوار والوقائع، والراوي المجهول هو سارد داخلي. ويمكن أن يتعدى ذلك إلى ناقلي الحكاية من جيل إلى جيل، ومن جماعة إلى جماعة، فكل واحد منهم يُعدّ سارداً للحكاية بطريقته وأسلوبه، وقد ذكرت سابقاً أن النص واحد، ثابت لا يتغير، لكن السارد يمكن أن يتعدد، وحتى الأسلوب يختلف من سارد إلى آخر، إما بأسلوب المتن الحكائي، أو بأسلوب المبني الحكائي. وقد قسمت الحوارات والمشاهد في النص إلى أربعة أقسام: (الحوار الخارجي، والحوار الداخلي، وحوار السارد الضمني المرتب للأحداث والوقائع، والحوارات في الحكايات القصيرة المذكورة داخل حكاية الأسد والغواص)، ولقد جاءت الحوارات كما يلي:

--السرد الخارجي، أو الحوار الخارجي وهو ما يسمى بـ (Dialogue)

لقد اخترت أن أبدأ بالحوارات الخارجية، أو ما يسمى بالسرد الخارجي للشخصيات؛ لأن السرد الخارجي هو الغالب في حكاية الأسد والغواص، وبعد التقصي والاستقراء فقد بلغ عدد الحوارات الخارجية كما أظن ما يزيد على (250)

مئتين وخمسين، ما بين حوار وردّ عليه، ومن أمثلة ذلك على سبيل المثال لا الحصر، ما يلي:

- أول حوار في الحكاية عندما خاطب الغواص صديقه بقوله: "يا أخي! أما ترى الأسد مقارنُ فكرٍ يخفيه، ومضمُرُ شيء لا يبيده؟! قال له صديقه: إن من تكلف ما لا يعنيه أضُرّ ذلك بما يعنيه، وليس لنا أن ننظر في أمرٍ ليس لنا، ونحن في عافية يجب أن نلزمها ما لزمنا، قال له الغواص: قد سمعتُ ما قلتَ، ولكن قد يجب على الرعية أن يُجهدوا أنفسهم في صلاح الملك ومعونته" (السيد، 1978: 41). في هذا الحوار يحاول الغواص أن يقنع نفسه بدايةً، ومن ثم يقنع صديقه بأنه يريد أن يكون للملك الناصح الأمين، ولكن الصديق يلومه على هذا، ولا ينصحه بالاقتراب من الملك وحاشيته، حتى لا يلقي أذيةً ممن حول الملك.

- حوار آخر عندما جاء الغواص، فقد قابل الملك وطلب القرب منه، فقال له الملك: "ما الذي أهدى رغبتك إلينا بعد زهدٍ منك فينا؟! قال له: أيها الملك! إن العاقل كالرأي الحاذق، لا يحبُّ أن يُضيع شيئاً من سهامه إلا مع غلبة الظن بإصابة بعض أغراضه، ... فقال له: أيها المرء! إن الصور تتشابه وتتقارب، والأنفس تتفاضل وتتفاوت، ... قال له: فلهذا أيها الملك أتيتك وبذلت نفسي في خدمتك" (السيد، 1978: 61-63). في هذا الحوار نجد أن الغواص تقرب من الملك، ولكن الملك استغرب واستهجن تقرب الغواص منه، وقد كان من قبل قد زهد في الدنيا وحب السياسة، فأخبره الغواص إنما جاء لخدمة سيده الملك، وقد أخفى بداخله حب الرياسة والمنصب.

- وورد حوار آخر عندما جلس أعداء الغواص، فقال أحدهم: "كيف الطريق إليه، وليس ممن يتولى أمراً فيهم فيه؟ قال آخر: إن الملوك قد تعاقب وتسخط في أربعة أشياء: إفشاء السر، والقدح في الدولة، وإفساد الحرم، واختزال الأموال، فانظروا أيّ هذه الأحوال أشبه به، فاحتالوا أن يتهمه الملك فيه. قال آخر منهم: كلُّ من الأشياء يمكن أن نتهمه فيه، فلا تغتروا بما ترون

من حسن موقعه عنده" (السيد، 1978: 115، 116). في هذا الحوار أخذ يتفق أعداء الغواص على تلفيق التُّهم للغواص، حسداً من عند أنفسهم؛ بسبب قربه من الملك، فذكر أحدهم أكثر الأشياء التي تزعج الملوك وتغضبهم. - حوار اللوام الذي لام صديقه الغواص قائلاً: "أنت امرؤ فيك قلة حذر مع تعاطيك المعرفة بوجود الحذر، والعلم لا ينفع إذا فارقه العمل، ولقد تعرّضتَ لما تُحسنتُه، فكان مثلك مثل بعض المعلمين. قال له كيف كان أمره؟ قال: ذُكر أن معلماً كان يعلم صبيها، وكان لا يجيد الكتابة، فعبر به رجل فقال: يا معلم! لم لا تعلم الصِّراع؟ فقال: لأنني لا أحسنه. فقال: هو ذا يُعلِّم الكتابة ولا يحسنها! ولو قاربت أصحابه لنجوت من كيدهم" (السيد، 1978: 167، 168). وكان هذا الحوار من صديق الغواص، حينما دخل الغواص السجن بسبب المكائد المُدبرة له من أعدائه، ولامه الصديق؛ لأنه لم يأخذ حذره جيداً منهم، فهم قد حسدوه على قربه من الملك.

- حوار آخر عندما اكتشف الملك الحقيقة، فقد ظهرت براءة الغواص، عندها قال الغواص للملك: "قد علمتُ أيها الملك أن أمري معك إلى هذا يصير، ولكني أكرمت محبوبك على محبوبي، ولزمت طاعتك في مكروهي، ...، قال الأسد: وبما سكنت نفسك وقوي قلبك في أن الشقاء المنقطع سبب السعادة الدائمة؟ قال: إني وجدت جميع العالم مُثبتاً على غاية الحكمة، وحسن الصنعة، ...، أيها الملك! يمنعني من المقام عندك أسباب، أحدهما أنني وإن كنت بريئاً فإن الذي فعلتهُ معي مما يحدث لك الاسترابة بي، وقد اهتمتني بالإساءة من غير أن يتقدم إليّ منك ما يوجب الإساءة" (السيد، 1978: 186-196). وهذا الحوار كان بعد خروج الغواص من السجن، وقد أراد الملك الاعتذار منه، وأن يقربه؛ ليعوضه عما حصل معه، لكن الغواص أثر على نفسه هذه المرة أن يبتعد ويخلو بعيداً في بيت للعبادة، ففضل في ذلك البعد؛ لأنه لا يأمن مكر الملك فيه مرة أخرى. وأمثلة هذا النوع من الحوارات كثيرة في الحكاية.

--السرد أو الحوار الداخلي أو ما يسمى بالمونولوج الداخلي (Monologue)

يعد الحوار الداخلي أو ما يسمى بالمناجاة الداخلية من التقنيات المهمة جدا التي يستخدمها الكاتب والسارد في حكايته أو روايته؛ والغرض منه كسر أحادية الصوت، والتخلص من حالي الملل والرتابة، التي من الممكن أن تلحق المتلقي بسبب السير على وتيرة واحدة في الحوارات والأحداث والوقائع، فيكون الحوار الداخلي سبيلا للكشف عن بواطن الشخصيات، التي لا يمكن للحوار الخارجي أن يقوم بها، فالنفس البشرية مجبولة على حب الكمال، فيمكن للإنسان بالحوار الخارجي أن ينكر سلبياته وما يعانيه من نقص ما في شخصيته، لكن بالمناجاة الداخلية أو الحوار الداخلي يخاطب نفسه ويناجيها، فلا يمكن له أن ينكر ضعفه أو نقصه أمام نفسه، فهو لا يقبل الضعف أمام الناس، غير أنه لا ينكر ذلك بينه وبين شخصيته الداخلية، وقد كانت الحوارات الداخلية أقل بكثير من الحوارات الخارجية، فالمقصود في الحكايات والروايات بالدرجة الأولى هو الحوار الخارجي أكثر من أي حوار آخر، ولكن يُأتى بالحوار الداخلي لغرض ما، لم يُؤدّه الحوار الخارجي، وقد وصل عدد الحوارات الداخلية إلى (30) ثلاثين حوارا، بين حوارات خاصة بالملك، وحوارات خاصة بالغواص، ومن أمثلة ذلك على سبيل المثال لا الحصر، ما يلي:

- أول حوار داخلي في الحكاية عندما فكّر الغواص في نفسه، فقال: "أخشى أن أبدأ الملك بنصيحتي ولست من أهل أنسه (?) من أمره ما يضغّ مني بين شعري (?) وقولي، فأكون قد طلبت منفعتي بمضرتي، فلا أنا نفعته، وضرت نفسي! ويجوز أن أجيء منه على حال ملل وضجر، فأكون كمن ركب البحر وقت هَيْجِه" (السيد، 1978: 59-61).
- حوار الملك مع نفسه وذلك عندما طرح أعداء الغواص الكتاب في حجرة حَظِيَّة الملك، فقال الملك في نفسه: "أنا أعرف الغواص وما هو بهذه المثابة، ولعل عدوا حسده، ولعل المرأة تُقُل عليها موضعه، فإن النساء أصل كل بلاء (ق 33 ب) (السيد، 1978: 122).

- حوار داخلي في حديث الملك مع نفسه وذلك عندما ثبتت التُّهم الباطلة على الغواص بأدلة باطلة فقال عندها في نفسه: "إني أعرف من سعة معرفته وبُعد غوره ما يشبه أن يكون هذا من فعله، وأعلم من وفائه وطهارة أخلاقه ودينه ما يبعد هذا عن نفسي منه. ولكنها واحدة قد تقدمت لها أخوات تُحققها، وأمثال تشهد لها، وقد دُفعت إلى أحد أمرين، إما قتله فأكون قد جازيت كثير إحسانه إليّ بإساءة، وإما عفوت عنه فلا يتأخر أحدٌ عن إتيان كبيرة، ولا يخشى أحد من المقابلة على إساءة" (السيد، 1978: 130، 131).
- حوار داخلي للملك؛ وذلك عندما شك بالتهمة الواقعة على الغواص وأراد التأكد منها، وكان أولها كتاب الحظية، فقال في نفسه: "إن مما يربيني في هذه الرقعة أنها مترجمة باسمه، ولو كان كاتبها لم يذكر اسمه فيها، ولكن أسأل حَظِيَّتِي من دفعها إليها، ...، وكما أنني لم أعجل على الغواص، كذلك ينبغي أن لا أعجل عليهم حتى أقف على جلية الأمر" (السيد، 1978: 185، 186).
- حوار داخلي تمثل بحديث الغواص مع نفسه؛ فقد أخذ يخاطب نفسه وكأنها إنسان آخر منفصل عنه، وذلك عندما ظهرت براءته، فقال: "يا نفس! إن الدنيا لا تدوم، فمن لا يفارقه طوعاً وهو محمود، فارقها كرها وهو مذموم، يا نفس! إنه من أمارت شهوته في الدنيا أحيا نفسه في الدار الأخرى. يا نفس! لا يحملك حطام الدنيا على الهلاك بها فتكونين كالذبابة يغرقها في العسل محبتها له، يا نفس! إن لذة الدنيا كزهر الربيع يعود بعد قليل شوك. يا نفس! إن الدنيا كالقصاب يُسَمِّن لِيَذْبَح لا لِيَمْنَح" (السيد، 1978: 204-208، 71، 96، 122، 126، 127، 130، 132، 142، 145، 146، 184).

--حوارات السارد الضمني المرتب للأحداث والوقائع

السارد الضمني هو الراوي المجهول في الحكاية، والذي لم يُذكر اسمه، ولم يُفصح هو عن شخصيته؛ وكان دوره ترتيب الأحداث والوقائع، وإنزال كل شخصية بمكانها، وقد كانت وظيفته مقتصرة على ذلك، وهذا لا يعني أن دوره كان هامشياً، بل كان له دور فعّال جداً في سير الأحداث، وذلك من حيث القدرة على

ترتيبها وتنظيمها بشكل متوافق مع تناميها، حتى وصلت إلى الحبكة أو العقدة ومن ثم الحل، وهو صوت داخلي غير صوت الكاتب، وغير صوت الشخصيات الداخلية، وبالرغم من أنه صوت غير صوت الكاتب وصوت الشخصيات، إلا أنه أظهر قدرة على إدارة الحوارات بشكل جيد، كما أنه أظهر إحاطة ومعرفة تامة بالأحداث والوقائع، حتى إنه كان يعلم ما في بواطن الشخصيات في عدة مشاهد من الحكاية، والسارد الضمني شأنه شأن غيره من الساردين، يختاره الكاتب أو السارد كتقنية لكسر أحادية الصوت، وللتخلص من حالي الملل والرتابة، مما لو سار النص على وتيرة واحدة من السرد، كما أنه يستبق أحداثا، ويسترجع أحداثا أخرى، مما يضيف نوعا من التشويق على الحكاية، والسارد الضمني يكون حوار موجها للمتلقي لا لأحد الشخصيات داخل الحكاية، بل ليفصح له عما سيحدث مستقبلا، أو يخبره بنتيجة غابت عنه في مجريات الأحداث، وقد كان عدد الحوارات التنظيمية كثيرا في حكاية الأسد والغواص. وقد وصل عدد هذه الحوارات كما أظن إلى (243) مئتين وثلاثة وأربعين مشهدا وحوارا مُقدما للمتلقي، والذي أوصل عدد الحوارات لهذا العدد الكبير، أن الحوارات في الحكاية كانت كثيرة، فكان دوره في تنظيم الحوارات يتوقف عند قوله: (وقال الغواص، وقال الملك، وقال الأسد، وقال النمر، وقال الصديق، وقال اللّوام، ...)، ثم بعد ذلك كان يتدخل بين كل حوار وحوار، فيعطينا تصورا لمجريات الأحداث، وما كان من الشخصيات، وما ستؤول إليه الأحداث بعد ذلك، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

- حوار تنظيمي من السارد الضمني، قوله: "ذكروا أن أسدا كان ملكا للوحوش في بعض المواضع، وكان حسن الطريقة في مملكته، محمودا في رعيته، قد ساسهم بأمرين جُمعَ الحزم فهما: شدة في غير عنف، ولين من غير ضعف" (السيد، 1978: 41).

- حوار تنظيمي من راو مجهول "ثم إنه مر يتطلّب وجهها لحيلته، فصادف قوما قد خرجوا لبعض شأنهم، يسرون على الطريق ومعهم سلاح وثيق، فأقبل الغواص يتعارج ليطمئئهم في نفسه، فتبعوه وهو يسير بين أيديهم متوجها نحو الجاموس،

لا ينالونه ولا يُؤيسهم من أمره حتى قَرَّبَ من الجاموس، فأسرع إليه قليلا والناس خلفه" (السيد، 1978: 102).

- حوار تنظيمي آخر من راو مجهول "ثم إن الذئب أنفذ [ق 34 ب] نحو النمر متوجها، فلما بلغ إليه طرح نفسه عليه، وسأله في الذي جاء لأجله، وعرفه ما تَصَوَّرَ عنده من جهة التخبير من حسن رأي الأسد فيه. ثم تواترت الأخبار بما أذاع الأسد من تقريره ووصفه، وتلا ذلك الكتاب منه بتجيله وإكرامه" (السيد، 1978: 124).

- حوار تنظيمي من راو مجهول: "فورد على الملك ما أذهله من عظم ما ورد عليه من الحيلة في مقابل الإحسان بالإساءة. ولم يلبث [هندية 70 ب] أن أمر بقتلهم وإخراج الغَوَاص. فلما وصل إليه، أقبل يعتذر منه بلسان يحبسه الحياء ويقبضه الخجل" (السيد، 1978: 186، 187).

- حوار تنظيمي آخر في الحكاية من راو مجهول: "ثم انقطع إلى بيت من بيوت العبادة في بعض الجبال، فخلا برياضة نفسه وعبادة ربه، وإصلاح ما أفسدته المخالطة من عادته. وكان الملك يزوره من وقت إلى وقت إلى أن فرَّق الدهر بينهما" (السيد، 1978: 208).

--الحوارات في الحكايات القصيرة المذكورة داخل حكاية الأسد والغواص

ورد هذا النوع من الحوارات بشكل كبير، والسبب في ذلك أن الحكاية الأم؛ الحكاية الكبرى (الأسد والغواص)، تضمنت عددا كبيرا من الحكايات الصغيرة، والتي كانت تُسرد على ألسنة بعض الشخصيات، فكانت هذه الحوارات حوارات داخل حوارات أخرى، فيكون الحوار من الغَوَاص مثلا، لكنه يذكر في معرض حديثه قصة قصيرة تحتوى عدة حوارات، وهذه تقنية من الحوارات لا تتوفر في كل الحكايات والروايات، إذ إنها تدل على سعة اطلاع الكاتب، وثقافته الواسعة، فكل حدث دار في الحكاية كان يُسْتَشْهَد عليه بحكاية على ألسنة الحكماء، والبلغاء، والفقهاء. وهذه الحوارات انقسمت إلى قسمين، بعضها كان موجها إلى شخصيات هامشية جدا داخل الحكايات الصغيرة الداخلية، وبعضها كان موجها

للمتلقي بشكل مباشر، وقد وصل عدد هذه الحوارات إلى (245) مئتين وخمسة وأربعين حواراً، ومن الأمثلة على ذلك:

--حوار الشخصيات الحكائية في الحكايات الصغيرة، ومنه حكاية وزير الملك الذي كان له عدو من خاصة الملك، فقال له الملك: "لي إليك حاجة يسيرة، لا مشقة فيها عليك، وهو أن تُعرِّفني ما يجري، فقال له: أيها الملك! إن وزيرك اجتمع اليوم مع أصحابه، فقال: ألا ترون إلى شح الملك، ودناءة نفسه، وضيق همته. فلما حضر الوزير، قال له الملك: يا ويلك! إنني لم أدفع إليك بنصف النِّدة شُحاً مني، ولكني ساويتك بنفسي وجعلتك نظيري" (السيد، 1978: 154، 155).

--حوار الرجل الذي باع جملة ثم ندم؛ إذ إنه ربط سنَّوراً ومضى به إلى السوق، فقال له رجل: "بكم هذا الجمل؟ فقال: بدرهم! ولكني لا أبيعُه إلا لمن يشتري هذا السنَّور معه. قال: وبكم السنَّور؟ فقال: بخمسمئة درهم! فقال: ما أرخصها من سلعة، لولا هذه القلادة!" (السيد، 1978: 158).

--حوار آخر داخل حكاية فرعية؛ وذلك عندما قام واحد من جماعة الغلام، فقام ففسق بالغلام ثم رجع، فقام آخر للغلام فقال له الغلام: "ما تريد؟ ألم تكن عندي الساعة ففعلت كذا وكذا؟! فقال: لا والله، فقال: لقد جاءني الساعة إنسان ففعل بي، وظننته أنت فلم أحتَرِكْ ولم أظن أحداً يجسر عليك!" (السيد، 1978: 176).

--حوار آخر: عندما قال اللّوأم للغواص جوابي عليك كجواب نساء البادية، وقد سألتها رجل: "من أين تعيشون؟ فقالت: لو أنا لم نعش إلا من حيث نعلم لم نعش! وأنا لو لم أتخلص إلا من حيث أعلم لم أتخلص! وإذا أراد الله أمراً يَسِّرْ أسبابه" (السيد، 1978: 180).

--حوار آخر: عندما ذكر أحد أعداء الغواص خبر الرجل الذي عليه دَيْن، فشكى صاحب الدَّين للقاضي عدم السداد فقال المدين: "إنا لله وإنا إليه راجعون! أقررت له بما عليّ ودللته على سري، قال القاضي من هؤلاء؟ وقد رأى بينهم شاهد زور معروف، قيل: شهود يشهدون لفلان، فقال المديون لصاحبه بعد أن نجى: بأي شيء احتلت؟! فقال: إن القاضي يعرفني بشهادة الزور، فجئت بين شهود خصمك، فاستراب بهم لما

رأني معهم" (السيد، 1978: 134). والحوارات من هذا النوع كثيرة، وما ذكر كان على سبيل المثال لا الحصر.

--البُنية اللغوية

يُلاحظ في حكاية الأسد والغواص أن الكاتب متمكن جدا من اللغة، فقد كانت لغته قوية جدا ومعبرة، فقد شكّلت عددا كبيرا من الدلالات والأنساق اللغوية والفكرية، وبالوقت نفسه أشارت إلى أبعاد نفسية، وفلسفية، وسياسية، وأضافت جماليات للنص، وذلك من خلال سرده للأحداث المستمدة من الواقع المعاش من حوله، فقد لامست أحداث الحكاية الواقع بشكل كبير، وقد برع كاتب الحكاية المجهول في وضع كل معنى حوارى في مكانه، دون أدنى تكلف منه، وحتى إن مفرداته المستخدمة في الحكاية كانت مرتبطة بالطبقة السياسية بشكل كبير، ولقد تشكّلت صياغته اللغوية بحيث أعطت عمقا دلاليا وإيحائيا للنص، فقد وظف كثيرا من الصور البلاغية، من استعارات، وكنيات، وتشبيهات، وغيرها، كما وأدخل البعد الخيالي إلى نصه السردي؛ ليعطي قراءة جديدة للنص في كل مرة، واستعمل أسلوب الإقناع المُدعم بالحجج والبراهين. وقد وظّف كثيرا من أفعال السرد مثل (ذَكَرَ، وذكرُوا، وقيل لنا، وقالوا، وأظنّ، وظنننا، ظنّك، وعلمنا، وحَدَّثنا، وزعموا، وجعلوا، وخَبَّرَك، وخَبَّرني، وخَبَّرَه، وجدنا، وحكاه، ...). كما وأكثر من الاستدراك، فقد استدرك على حديثه في مواضع متعددة بقوله في بعض الأحداث: (ولكن، ولكنني، ولكننا، ولكنهم، ...). وأكثر جدا من الأفعال الماضية، وعلى رأسها الفعل (كان، وقيل، وقالوا، ...) ومشتقاتها. وبسبب لغته المتينة وما جعله في حكايته من الحكايات والقصص الداخلية، ومن استخدامه الفنون البلاغية واللغوية المختلفة، فقد فتح الأبواب أمام الدارسين، لدراسة هذه الحكاية من وجوه متعددة، كما أننا نجد أن الكاتب المجهول، وكأنه يريد التهرب من شيء عندما قال في بداية أول باب: (ذكروا أنّ أسدا)، من الذي ذكر؟! وكأن الكاتب يريد أن يهرب من المسألة، فهو يقول: ذكروا، أي لست أنا من أقول، بل غيبي هو الذي يقول، وأنا فقط أنقل ما سمعت، لكن الغريب أن يُلحق الفعل (ذكروا) الذي يفيد التشكيك، بالحرف (أنّ) الذي يفيد التأكيد، وكأنه يريد أن يؤكد بإيحائية عميقة منه، أن هذه

البنية السردية والتمثيل الرمزي للسلطة في العصر العباسي:

حكاية "الأسد والغواص" أنموذجًا - دراسة تحليلية

الأحداث حقيقية وواقعية، لكن ما أجبره على ذكر أفعال التشكيك هو الخوف من المسألة، "إلا أن السياق الخارجي قد لا يفصح عن نفسه في البنيات النصية المشكلة للعالم التخيلي للنص، فالنص لا يحيل مباشرة إلى الواقع. وهنا يأتي دور المؤول في أن يقيم نوعا من المماثلة بين البنية النصية والحدث، أو الأحداث التي يراها تمثل العناصر الدالة، من أجل إضفاء وظيفة براغماتية على النص، أو في أدنى الأحوال من أجل جعله دالا في سياق المرحلة التاريخية التي يعيش فيها" (إسماعيل، 1999: 149).

ولقد احتوت حكاية الأسد والغواص على تسعة عشر بابا، وجاءت مرتبة كما يلي (السيد، 1978: 41، 44، 52، 59، 63، 71، 87، 95، 96، 102، 104، 109، 115، 148، 187، 193، 196):

--باب صفة الملك الحازم.

--باب ما يجب على الرعية من نصيحة الملك، وأن ذلك ينفع الناصح كمنفعته للمنصوح، وأن أمر الملك والرعية ومنفعتهما واحدة، وهي الحفاظ على الدولة والنصح لأهلها، والعيش بحياة كريمة يرتضيها الجميع؛ وفي هذا الباب دلالة على أن نصحه للملك كان نصحا للملك والرعية، وتنظيم أمور الدولة على جميع المستويات.

--باب فيما يحتاج إليه ذو الفضل من الإدارة لأصحاب الملوك، وفي هذا الباب ردع للعاقل من أن يدل بفضله فيحمله ذلك التهاون بمن دونه.

--باب مضرة التبرع بالنصائح، وكيف يتلطف المرء في إيرادها مع السلامة من التبعة فيها.

--باب انتفاع الملك بذي الرأي، وفيه بيان عن أمر العالم الذي يعلم ولا يعمل بعلمه.

--باب التلطف في عرض النصائح على الملوك، من وجه يأمن المرء فيه سوء التأويل عليه والخطأ الواقع فيه.

--باب انتفاع الملك بالحيلة والمكايد، والتلطف في عرضها عليهم، وهو داع للملوك أن لا يطرحها، وبيان لوجه النفع فيها.

--(...) وما في ذلك عليه من ضرر ونفع، وفيه أيضا دليل على أن الحيلة والمكيدة غير محظورة إذا أدت إلى صلاح الجملة.

- باب ما يجب على المرء في كل عمل يعمل به.
- باب الانتفاع بعلم النجوم مع التوكل، وكيف يجب استعمالها من حيث لا تضر بالدين ولا تنقص من الحزم، وهو داع للعاقل أن لا يَطْرَح الحزم مع التوكل، ولا يدع التوكل مع الأخذ بالحزم، وأن هذا محتاج إلى هذا، وهذا محتاج إلى هذا.
- باب (...) [يظهر أنه باب الحيلة].
- باب (...) [والذي يظهر من بعض النسخ: اللجوء إلى الحيلة عند عدم توفر القوة].
- باب استعمال الملك كل واحد من أصحابه في المكان اللائق به.
- باب منفعة العلم والأخبار للملوك. وهذا الباب داع للملوك للتفتيش عن سير الفضلاء منهم، وأن يتخذوا من يُنْقِب عن محاسن ذلك لهم ويعرضه عليهم.
- باب حيل أصحاب الملوك بعضهم على بعض؛ وفي هذا الباب داعية للملوك إلى التَّثَبُّت فيما يُلقى إليهم عن أصحابهم، والتناهي في الكشف عنهم، والأضرار مما يُحتال عليهم به، وأن هذا الباب أعظم ما يدخل عليهم به أعداؤهم.
- باب حاجة أصحاب الملك إلى بعض المقاربة واللفظ في إيراد النصيحة.
- باب في الاستدلال بالعقول على المُجازاة في المعاد.
- باب في مضرة سوء العادة بالنفس وانطباعه فيها.
- باب في أقسام السياسة.
- وتقسيم الحكاية إلى أبواب أمر مهم، فترى أن أسلوب الحكاية ظهر وكأنه من طبقة عالية، فالحكايات والقصص الصغيرة المتفرعة عن الحكاية الرئيسية، تُذكرنا بحكايات ألف ليلية وليلة، وكل من هذه الأبواب يتحدث في أمر مختلف عن الباب الذي قبله، لكنه مرتبط معه ارتباطاً وثيقاً، خاصة وأن الكاتب ضَمَّن الحكاية قصصاً حقيقية قديمة من التاريخ لزيادة الفائدة، ولتقوية المعاني، ولا بد من الإشارة إلى أن بعض المحققين والباحثين صُعِب عليهم بعض الكلمات من النسخ الأصلية المحققة، فأسقطوها وتركوا مكانها فارغاً، حتى وصلت بعض الاسقاطات في بعض المواضع ما يقرب السطر، فقد أدت تلك الاسقاطات إلى نقص في بعض المواقف والأحداث (السيد، 1978: 36). استخدم الكاتب لغة متكاملة تعكس قدرته، مما يؤلّد لغة

البنية السردية والتمثيل الرمزي للسلطة في العصر العباسي:

حكاية "الأسد والغواص" أنموذجًا - دراسة تحليلية

جديدة للقارئ، والقدرة اللغوية في هذه الحكاية لا تقتصر على جمال الأداء اللغوي الظاهر، بل تتجاوز ذلك بكثير؛ لتولد معاني جديدة ومتعددة، مما جعل الحكاية مادة خصبة لدراسات الباحثين من تحليل، وتدقيق، وتمحيص، إننا نجد تلاعبا في قلب البناء اللغوي، فرى الكاتب على مقدرة تامة بتلاعبه بالكلمات والمفردات، وقد ميز حكايته بعدة طبقات لغوية، مما يجعل القارئ على مستويات؛ فمنه السطحي، ومنه المتعمق، فالمتعمق الذي ينظر إلى ما خلف السطور يكتشف عدة مستويات من الفهم والإبداع كلما غاص في جوانب الحكاية المختلفة، مما يجعل الحكاية رحلة يستكشف فيها القارئ المجهول وما خفي من أفكار وعلوم، مما عزز الشخصيات والأحداث، فاللغة الراقية، تعطي الشخصيات قوة ونظارة وحيوية، وهذا النوع من المستوى الكتابي العالي يعكس قدرة الكاتب وتمكنه من اللغة في خلق عوالم جديدة ومتكاملة تظل عالقة في الذهن مهما تطاول الزمن، ما سبق يدلنا على أن البنية اللغوية تمثل للحكاية والرواية جاذبية لأصحاب الذوق الرفيع من محبي العلم وأهله.

-- البنية الاجتماعية والشخصيات الحكائية

تعد البنية الاجتماعية في الحكاية أو الرواية من التقنيات المهمة، التي يجعلها الكاتب في عمله الفني، فالكاتب إنما يستمد الأحداث والوقائع في حكايته أو روايته من المجتمع والبيئة من حوله، فالكاتب لا يمكن أن يعزل نفسه عما حوله، والكاتب أو الشاعر يتميز عن غيره بأحاسيسه ومشاعره الجياشة، ولذلك تراه يتفاعل مع الأحداث الدائرة من حوله، ويستمد نصه مما حوله، فهو ينقل مشكلة معينة في المجتمع من حوله، ويحاول أن يجد لها حولا جذرية، أو تراه يستبق بحكايته أو روايته أحداثا، ويجعلها في حكايته تحذيرا للمجتمع من حوله، وتراه يضرب الأمثلة لهم من الأمم السابقة، أو من الواقع المعاش في دولة أخرى، فهو ينقل للناس خبرته وخبره غيره في الحياة؛ لكي ينهض بالمجتمع من حوله ولكي تكون الحكاية أكثر قبولا من الناحية الاجتماعية، فقد استحضر الكاتب شخصيات من التاريخ، وهم: الربيع بن يونس بن أبي فروة، ويكنى بأبي الفضل، وكان ذكيا جدا، وداهية لبقا، وكان حاجبا للمنصور المهدي. واستحضر شخصية أبي عبيد الله بن يسار، وكان مولى لعبد الله بن عضاه

الأشعري. واستحضر شخصية معاوية بن عبيد الله بن يسار، وشخصية عبيد الله وزير المهدي. كما استحضر شخصية عمر بن هيرة، ويوسف بن عمر، وهشام بن عبد الله، وعبد الله بن أبي بردة، وشخصية جالينوس، وشخصية كسرى أبرويز، وخالد بن يزيد، والهرمزان، وشخصية الحجاج، والمهمل، وعبد الملك بن مروان، وشبيب الخارجي، والحارث بن عباد، وسلمان الفارسي، وعمر بن الخطاب، وعمرو بن العاص رضي الله عنهم، وشخصية الخليفة المعتمد، وشخصية الاسكندر، وبعض ملوك بني مروان. كما استحضر حرب البسوس، واستشهد بأحاديث للنبي صلى الله عليه وسلم، وبأقوال الحكماء والبلغاء، والحكم والأشعار. واستحضر هذه الأمور شأنه إضفاء شيء من الشرعية على الحكاية. ولا بد من الإشارة إلى أن النصوص السردية الحكائية، تتفاوت في جودة السبك، وعمق المعاني، كما أنها تتفاوت في ارتباطها بالواقع أو الخيال؛ فبعض الكتاب يجعل حكايته أو روايته واقعية ومن بيئته المحيطة به، وبعضهم ينجح للخيال، ويوظف الأساطير، لإيصال معلومة أو حكمة بأسلوب محبب من النفس، فالنفس مجبولة على حب التنوع والاكتشاف، وبعضهم يجعل شخصياته حقيقية، وبعضهم يجعلها خرافية، وبعضهم يجعلها رموزاً وأساطير، وصاحب الأسد والغواص، قد جعل حكايته على لسان الحيوان، وبأقنعة حيوانية، لأسباب كثيرة قد سبق ذكرها. وصاحب الحكاية المجهول لم ينأى بنفسه عن الواقع والحقيقة من حوله، فهو ينقل لنا قضية من أبرز القضايا في تلك الحقبة، وهي من القضايا التي تهم جميع الطبقات والأطراف، وخاصة الطبقة الحاكمة، فقد رأى في الدولة ثغرات لا بد من سدّها، فرأى في نفسه الناصح الأمين للحاكم، فأراد تقديم النصيحة بأسلوب يُبعده عن المساءلة، وبنفس الوقت يتقرب به من السلطان. والغواص هنا بحكاية الأسد والغواص بعكس الثعلب في حكاية النمر والثعلب، فالثعلب أراد تقديم النصيحة، لكنه لم يكن يتقرب من الملك لِحُب المنصب والتقرب من السلطة، لكن الظروف التي حصلت معه هي التي أجبرته على التقرب من الحاكم؛ فبعد غرق زوجته ووصوله الجزيرة على متن ذلك الجذع، سارت الأحداث دون ترتيب مسبق منه. أما الغواص فقد أحب نصيح الحاكم، وهو صادق في نصيحته، لكنه أخفى في قلبه حب السلطة

البنية السردية والتمثيل الرمزي للسلطة في العصر العباسي:

حكاية "الأسد والغواص" أنموذجاً - دراسة تحليلية

والرياسة، حتى تقرب من الملك وحصل على ما يريد، فالكاتب ماهر جداً، فقد جعلنا نتفاعل مع الحكاية ونعيش أحداثها، وجعلنا نتعاطف مع الغواص من جهة، ومع الملك المخدوع بحاشيته من جهة أخرى، وقد استطاع أن يثير المتلقي ضد الجاموس المفسد، الذي أراد الفساد في البلاد وبين العباد، كما أثاره أيضاً ضد أعداء الغواص، الذين ما زالوا يحيكون المؤامرات ضد الغواص، حتى أوقعوه مع الملك ودخل السجن، كما جعلنا الكاتب نقف صفاً مع الغواص في نهاية الحكاية، عندما رفض البقاء بالقرب من الملك، خوفاً من بطشه به مرة أخرى، ويعلمنا الكاتب أن حب الأوطان من الإيمان، وأن المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الشخصية في كل الظروف والأحوال.

-- التَّبْيِير أو يسمى بالرؤية السردية

وبالإضافة إلى ما قدمته في الفصل السابق من تعريف للتَّبْيِير، أول: لقد جاء في معجم مصطلحات الرواية أن التَّبْيِير: هو أن يقوم الكاتب أو السارد بتقليص حجم وحقل الرؤية السردية عند الراوي أو القارئ، وأن يحصر معلوماته في زاوية محددة، فيجعله يرى زاوية معينة، وربما قصد إخفاء رؤية معينة عنه، فيوجهه إلى رؤية يرتضيها له؛ إذ إن السارد أو الراوي يقوم بإدراج عدة رؤى سردية في النص، لتشكل رؤية خاصة من مُبَيَّنٍّ مستقل برؤيته عن رؤى غيره، والتَّبْيِير، أو البؤرة السردية، سمة بارزة وتقنية مهمة في العملية السردية (زيتوني، 2002: 40). والمقصود من التَّبْيِير هو سرد أحداث ووقائع الحكاية أو الرواية من وزاوية معينة، أو من وجهة نظر يراها الكاتب أو السارد هي المؤثرة في المتلقي أو المسرود له. وهذا ما نراه أيضاً عند بعض الشكلايين الروس أمثال (يوريس إخبانوف)، فقد قام من خلال دراسة أقامها تحت عنوان (غوغول) و(لينكوف)، بإثارة مصطلح البؤرة أو وجهات النظر، وأيضاً نجد ذلك عند (توماتشفسكي)، الذي قام بالتمييز بين نمطين من السرد، أطلق على الأول السرد الموضوعي: وهو الذي يُظهر سعة اطلاع السارد وتمكنه من الحكاية المسرودة، لكنه لا يتدخل في مجريات سير الأحداث، والآخر: السرد الذاتي الذي يتدخل فيه السارد أو الراوي من أجل التفسير والتعليل وتقريب الصورة للمتلقي (لحمداني، 2003م: 47).

ولا بد من الإشارة إلى أن السارد هو مُبَيَّر، أو على أقل تقدير أحد المُبَيَّرين في الحكاية أو الرواية، وبين جيران جينبت أن السارد "يكون على هيتين: إما أن يكون من الدرجة الأولى ويسميه خارج حكائي، ما يعني أنه تابع للحكاية، وإما أن يكون داخل من الدرجة الثانية، ويسميه داخل حكائي، مما يعني أنه ينتمي للمحكي الثاني" (وسواس، 2012: 106). وهذا يعني أن السارد إما أن يكون أحد المؤثرين في أحداث الحكاية، أو أن ينقلها كما هي، فيكون مجرد راو دون أن ينقل البؤرة أو وجهة نظره الخاصة، فلا يكون له أي دور ولا أي تأثير، وإذا كان له دور نراه قد اختفى وراء (الأنا الساردة)، فيكون ممارساً للسرد وتقنياته في هذه الحالة (بغاديد، 2016 / 2017: 52). ويمكننا نحن الباحثون أن نميز بين خمسة أشكال أو قوالب رئيسية للتبَيُّير، كما يلي (مانفرد، 2001: 80، 81):

--التبَيُّير الثابت **Fixed Focalization**: والمقصود بهذا النوع: عرض الأحداث والوقائع والحقائق السردية في الحكاية من وجهة نظر واحدة ثابتة، وتكون تابعة لمُبَيَّر واحد مفرد، ومثاله (بورتريه الفنان في شبابه) لجويس، فلم يظهر في النص غير مُبَيَّر واحد.

--التبَيُّير المتغير **Variable Focalization**: والمقصود بهذا النوع من التبَيُّير: عرض عدة حوادث غير رئيسية متعددة في الحكاية أو الرواية، من وجهة نظر لمُبَيَّرين متعددين، ولا يكتفي هذا النوع بمُبَيَّر واحد، ومن أمثلته رواية (السيدة دالوي)، فقد ظهر في النص عدة مُبَيَّرين مثل: (ريتشارد دالوي، ووارن سميث، وبير والش)، هذا عدا المُبَيَّرين الداخليين وقد كانوا كثر.

--التبَيُّير المتعدد **Multiple Focalization**: والمقصود بهذا النوع من التبَيُّير: نقل الأحداث والوقائع بشكل متكرر، وهذا يكون من وجهة نظر مُبَيَّر خاص مختلف عن الآخر في كل وجهة نظر، وهو بذلك يعرض وجهات النظر المتعددة والتأويلات المتوقعة لدى المتلقين، ومن أمثلته (رواية الجامع لفاولز)، إذ تُوجد هذه الرواية وجهات نظر لمُبَيَّرين متعددين وخارجيين.

البنية السردية والتمثيل الرمزي للسلطة في العصر العباسي:

حكاية "الأسد والغواص" أنموذجًا - دراسة تحليلية

--التَّبْيِير الجمعي **Collective Focalization**: والمقصود بهذا النوع: جعل الرؤية السردية أو البؤرة من خلال عدة ساردين، أو مجموعة من الشخصيات، ولكل واحد منهم رؤية خاصة به، ومن زاوية خاصة.

--التَّبْيِير الافتراضي؛ والمقصود بهذا النوع: إدراك الوقائع والأحداث والمكونات داخل الحكاية أو الرواية كما لو أن الحكاية تحتوي على مراقب افتراضي أو واقعي، ويمكن أن يكون هذا النوع من شخصية محددة، أو من ذات السارد الذي يقوم بعملية السرد. وينقسم التَّبْيِير إلى ثلاثة أقسام أو أنواع، وهي ذاتها التَّبْيِيرات التي تم دراستها في حكاية النمر والثعلب (مانفرد، 2001: 77-85):

--التَّبْيِير الأدنى أو الصفر: وقد ذكرت سابقا أن هذا النوع من التَّبْيِير يلحظ فيه أن السارد أو الراوي للحكاية أو الرواية، متمكن ومطلع على الأحداث، والوقائع، والشخصيات، فيظهر بأنه عالم وخبير بكل شيء يدور من مجريات الحكاية، حتى في أفكار الشخصيات ونفسياتها، وبواطنها، ويغلب هذا النوع من التَّبْيِير على حكاية الأسد والغواص، والأمثلة على هذا النوع كثيرة جدا في الحكاية، ومن ذلك المثال لا الحصر: "ذكروا أن أسدا كان ملكا للوحوش في بعض المواضع، وكان حسن الطريقة في مملكته، محمودا في رعيته، قد ساسهم بأمرين جمع الحزم فهِمَا: شدة في غير عنف، ولين من غير ضعف، قد جعل عطاءه للغنى لا للهوى، وعقابه للأدب لا للغضب" (السيد، 1978: 41، 42). يُلحظ في هذا المقطع تطبيقا لهذا النوع من التَّبْيِير، فنرى أن الكاتب أو السارد متمكن جدا، ومحيط بأحداث الحكاية بشكل كبير، فقد ذكر الأسد، وأنه كان ملكا على الوحوش، وذكر كيف ساس مملكته، وكيف كان محمودا في رعيته، وكيف حكمهم بالترغيب والترهيب، فكان يعاقب المخطئ، ويكافئ صاحب الجد والاجتهاد.

--ومن الأمثلة أيضا: "فقبل الملك كلامه، وعرف مقاله، وصار يتردد إليه في أوقات خلوته وأنسه وساعات نشاطه، فمُهدي إليه طرف العلم، ... حتى زاد أنس الأسد به، واشتغل عن كثير من أصحابه، فحسده قوم من خواصه، وأجمعوا على مكيدته، ... فجلس أعداء الغواص ذات يوم يتشاورون في أمره ومكيدته" (السيد، 1978: 114،

115). وفي هذا المقطع يظهر أيضا تَمَكُّن الكاتب أو السارد من الأحداث والوقائع، وعلمه بكل مجريات الأحداث وكأنه واحد منها، فقد عرف كيف أن الغواص تقرب للملك، وأنه أظهر للملك أنه سيعود إلى خلوته بعد أن خلّص الملك من الجاموس، وكان على معرفة أن الملك أحب فيه حكمته وخبرته وذكاءه، وعرف أيضا أن الغواص كان يحب التقرب من الملك، ولكنه أظهر للملك أنه لا يحب السلطة، وكان السارد أو الكاتب على علم كيف أن بعض المستشارين المقربين من الملك حسدوا الغواص على قربه من الملك، وأخذوا يحيكون له المؤامرات.

-- ومن الأمثلة كذلك: "ثم انقطع إلى بيت من بيوت العبادة في بعض الجبال، فخلا برياضة نفسه، وعبادة ربه، وإصلاح ما أفسدته المخالطة من عادته. وكان الملك يزوره من وقت إلى وقت إلى أن فرّق الدهر بينهما" (السيد، 1978: 208). وفي هذا المقطع يُظهر لنا الكاتب أو السارد إحاطته بالمجريات والأحداث والوقائع الدائرة في الحكاية، وأنه متمكن منها، فعرف أن أعداء الغواص كادوا له، وأفنعوا الملك بخيانة الغواص، وعرف أن الغواص كان بريئا من ذلك، وعرف أيضا أن الملك لما شك بأمر ظلم الغواص، أرسل إليه من يختبره في السجن، فظهر له أنه مظلوم، فأخرجه من السجن، وأراد أن يقربه إليه بعد أن اعتذر منه، لكن الغواص رفض السلطة هذه المرة، وأثر أن يرجع إلى مُعتكفه وخلواته في أحد بيوت العبادة، كما ظهر علم السارد بأن عرف أن الملك بالرغم من رفض الغواص البقاء في السلطة، إلا أنه بقي يزوره في مكان عبادته، ويأخذ مشورته إلى أن فرّق بينهما الدهر، وقصد بذلك الموت.

-- التَّبْيِير الداخلي: وقد أشارت سابقا أنه في هذا النوع من التَّبْيِير، نجد أن المعلومات لدى السارد أو الكاتب تكون متساوية مع ما عند الشخصيات من معلومات فلا تتجاوزها، بمعنى آخر أن السارد يتساوى بمعرفة المعلومات بما عند الشخصيات، فنرى الكاتب أو السارد لا يَتَحَدَّث بشيء جديد زيادة عما تَعَلَّمه وتقولاه أحد الشخصيات، وفي هذا النوع من التَّبْيِير يتم وصف مجريات الأحداث والوقائع في الحكاية أو الرواية كما هي ظاهرة لأي شخصية في الحكاية، ويشار إلى هذا النوع بضمير المخاطب، ومن أمثلة ذلك في الحكاية:

البنية السردية والتمثيل الرمزي للسلطة في العصر العباسي:

حكاية "الأسد والغواص" أنموذجاً - دراسة تحليلية

--قول الغواص: "ليس حُبُّ الزاد همي، ولا الدنيا طلبي، ولكن أن أبلو في الكافّة بلاء يَحْسُن فيه فعلي، ...، إني أخشى أن يكون عَلَيَّ حجة عليّ، فإن السعيد من استعمل نعمة الله عليه، ...، اللهم لا تجعل ما آتيتني من فضلك سببا للعقوبة منك بالتقصير، ...، فيكون إحسانك إليّ سببا لعقوبتك لي، ومَنْتُكَ عليّ سببا لسخطك عليّ" (السيد، 1978: 48، 50).

-- وفي موضع آخر: "وأنا أُوَمِّل أنك كما تلتطف في سؤالي، أن تتلطف في كفاية ما أهمني، ...، تشاورني مشورة الواثق، وتعصيني معصية المتهم! ...، إن كنت تهمني فلا تستشيرني، وإن كنت لا تثق بي فلا تسألني، ...، إني لست أريد بمناظرتي إياك الغلبة لك، ولا إقامة الحجة عليك، ولكني جعلتك كنفي، ...، وإني لست مؤثرا للشر، ولكنني مُؤثِّر للمقابلة على الشر، وعلى الشر من الخير؛ لأنها إلى الصلاح والتقى" (السيد، 1978: 75، 89، 90).

-- وفي موضع آخر: "قد علمت أيها الملك أن أمري معك إلى هذا يصير، ولكني أكرمت محبوبك على محبوبي، ولزمت طاعتك في مكروهي، وعليّ بما كان هَوْنه في نفسي، ...، وسرني أيها المك خلاصك من الظلم، أكثر من سروري بخلاصي من القتل، ...، إني وجدت جميع العالم مُثبتا على غاية الحكمة، وحُسن الصنعة، ووجدت العناية قد تناهت إلى الأمر الحقيق" (السيد، 1978: 187). وفي هذه المقاطع الثلاثة السابقة نجد أن المعرفة والمعلومات المتوفرة لدى السارد، تتساوى بما عند الشخصيات، فلم ينطق بشيء جديد، حتى إننا نجد أن السارد يُفسح المجال للشخصيات، للتعبير عن مجريات الأحداث والوقائع.

-- التَّبْيِير الخارجي: ذكرت سابقا أنه في هذا النوع من التَّبْيِيرات، تكون معرفة السارد أو الراوي بالوقائع والأحداث، أقل من المعلومات المتوفرة لدى الشخصيات الحكائية داخل الحكاية، فهو لا يقدم معلومات كثيرة، وخبرته بالحكاية سطحية، وهو لا يتدخل بسرد الأحداث إلا كما هي واضحة لأي سارد خارجي آخر، والسارد في هذا النوع لا يعرف ما يدور في بواطن الشخصيات ولا في أفكارها، وهذا يجعل الحكاية أو الرواية أكثر تشويقا، وذلك بسبب إخفاء بعض الأحداث أو المعلومات. وأنواع التَّبْيِير من

التقنيات التي يستخدمها الكاتب، إذ إن كلا منها يقدم شكلا وأداء مختلفا عن الآخر، والكاتب الجيد من يستطيع توظيف الأنواع الثلاثة من التَّبَيُّرات في عمله الأدبي، والساد هنا يحاول أن يتنجى قليلا؛ ليعطي الحرية للشخصيات أن تعبر عما بداخلها، ويعطيها حرية التحرك داخل الحكاية، وإننا نلمس أن الشخصيات متعددة في حكاية الأسد والغواص. ولهذا فإننا نعدّ حكاية الأسد والغواص متعددة الأصوات، وأن هذه الشخصيات المتنوعة في الحكاية تؤدي إلى أفكار وحوارات متنوعة ومتعددة، إذ إننا نجد أن هذه الحوارات والأفكار يتحكم بصياغتها السارد بطريقة غير مباشرة، فقد قام السارد بتضييق الرؤية السردية الخاصة به، ليعطي الشخصيات حرية الحركة والتعبير والتنقل داخل الحكاية (سراجية، 2017: 134). ومن الأمثلة الواردة في الحكاية على ذلك:

--قول الغواص: "أيها الملك! إن العاقل كالرأي الحاذق لا يحب أن يُضيع شيئا من سهامه، إلا مع غلبة الظن بإصابة بعض أغراضه، ... أيها الملك: أتيتك وبذلت نفسي في خدمتك، ولكني أضرب لك مثلا. قال: وما مثلك وبذلت نفسي في خدمتك، ولكني أضرب لك مثلا. قال: وما مثلك؟ قال: إن البازي إذا اصطيد للملك، فأول أمره يكون مستوحشا لا ينتفع به" (السيد، 1978: 31-36). ومن الأمثلة أيضا: "أيها الملك: عندي لك نصيحة وأنت فيها على أحد حالين لا ثالث لهما، إما أن تجد صوابا فتنتفع بها، أو لا تجد صوابا فلا مضرة عليّ عند ذلك فيها، ... وأنا فيها على ثلاثة أحوال: إما أن أنتفع بها لديه، أو لا أنتفع ولا أستضرّ، أو استضرّ بها عنده، ... قال الملك: وكيف تسمح نفسك بمنفعتنا من غير طلب للمنفعة منا؟! قال: لطلبي منفعة دائمة وأجرا باقيا، ... أيها الملك! إنه وإن كانت المنفعة لصاحب القدرة فإنها عائدة على ذوي الحاجة؛ لأن الله جلّ اسمه جعله السلطان، قواما لعالمه، ونظاما لرعيته" (سراجية، 2017: 72، 73). ومن الأمثلة كذلك: عندما اجتمع أعداء الغواص يريدون الإيقاع به: "فقال أحدهم للآخر: ما ترون في أمر إجابة الملك للنمر إلى ما سأله وتقليده الذئب ناحية جليلة بسؤاله وإحسانه؟ ... قال الآخر: إن الملك لم يرد بالإحسان إلى النمر، وهو عدوه إلا أحد حالين: إما الاستسلال لما في قلبه واستجلاب النصيحة منه، أو مكيدة ليطرح الاحتراس

البنية السردية والتمثيل الرمزي للسلطة في العصر العباسي:

حكاية "الأسد والغواص" أنموذجًا - دراسة تحليلية

فتبدو مقاتله، ...، قال الملك: ما عرف سري وغيره. فأما أنا فمن نفسي ثقة أنني لم أبدِ ذلك لأحد، وما أراه إلا من جهته" (السيد، 1978: 125، 126).

-- الخاتمة وبداية النهاية لحكاية الأسد والغواص

عرفت العرب "مصطلح خرافة الحيوان وأطلقته على الحكاية التي تشتمل على الحيوان الناطق بالحكمة الذي يقوم بدور إنساني، وذلك منذ عصور مبكرة في تاريخ الثقافة العربية" (إبراهيم، 1990: 77). ولقد لاقت النصوص السردية القديمة اهتمام الباحثين، كيف لا وهي تؤسس لمواقف معرفية، وفلسفية، وفكرية، تشمل الفكر العربي الإسلامي وغيره، كما أن هذه النصوص لاقت مقدمات سردية على مختلف المستويات، وذلك ضمن الإطار السردى الذي يؤسس للموقف المعرفى من هذا الجنس الأدبي على لسان الحيوان، فالنصوص السردية هذه لا تشير فقط إلى المعنى الظاهر وهو (منطوق النص)، بل إنها تشير إلى معنى آخر، وهو مفهوم النص؛ أي ما خفي من النص، وهو المعنى الأقصى الذي يحتاج إلى تفكير، وتأويل، وإمعان للنظر، بمعنى آخر المعنى لما وراء النص، وهو الدافع للمتلقى لهذه التفسيرات والتأويلات (إسماعيل، 1999: 99). وحكاية الأسد والغواص كغيرها من الحكايات من هذا الجنس الأدبي، نرى أن صاحبها المجهول قدّم فيها حلولاً ونصائح للحاكم والمحكوم، من شأنها أن تنهض بالحالة السياسية لما فيه خير البلاد والعباد، ولقد اختار الحيوان لأنه لا غنى للإنسان عن الحيوان بأي شكل من الأشكال، ولا شك أن الاعتماد على الحيوان قد قل مقارنة بما كان عليه سابقاً، لكن لا نستطيع إنكار قرب الحيوان من الإنسان فقد "فرضته الطبيعة التي شهدتها البيئة العربية، ولكنه صار بعد ذلك عنصراً يمتاز بالفاعلية والتأثير، بل إنه بمنزلة إجابة واستجابة لمتطلبات ملحة، ...، فالحيوان في الفن أصبح قيمة تسعى إلى توضيح هدف اجتماعي، وفي الحياة هو عنصر أصيل في حياة التبدى، التي طغت على حياة الجاهليين من قبل، ...؛ لأن الحيوان لم يكن في عزلة تامة عن الإنسان حتى ذلك الموحش الوحشي" (جمعة، 2010: 9، 10). وهذا ما نراه في حكاية الأسد والغواص، فالكاتب لم يقتصر حكايته على الأليف من الحيوانات، وإنما استخدم شخصيات السباع المفترسة لغايات متعددة. وهذا من شأنه تعزيز نوازع

الفكر والنفس لدى الشعراء والأدباء، فأصبح بذلك على مقدرة وثقافة لإيصال ما يرجو من الأفكار والحكم والتجارب، من خلال مواقف ومشاعر متصلة بعقل الكاتب وإنسانية، ونرى في تلك الفترة وما بعدها أن الحيوان أصبح من التقاليد شبه الثابتة للكتّاب الذين يريدون توجيه النصح والإرشاد للحكام (جمعة، 2010: 9، 11).

ومما زاد من جمال حكاية الأسد والغواص، وجعلها أكثر قبولا لدى الناس وجود تقنية الحوار، والتي أضفت على النص الفكاهة، والمرح، والتسلية، كما أنها أبطنت أبعادا فلسفية واجتماعية، وتعليمية نافعة، لا يمكن توظيفها بهذه الطريقة من لو كانت هذه الحكاية على لسان الإنسان، ولا شك أن ما قام به الغواص من تقديم النصيحة، وحب التقرب من السلطة والسياسة، يمثل واقعا مجتمعيا حقيقيا، فقد سعى كثير من الكتّاب في تلك الفترة للتقرب من الحكّام والسلاطين، ونيل الهبات والأعطيات، وبالفعل فقد كانت تُقدم الأعطيات، والهبات، للشاعر والكاتب على حسب إجادته، وطرافة كتابته (إبراهيم، 1990: 49).

يشير الكاتب إلى أنه لا يجب السعي وراء السلطة والسياسة؛ فإن الغواص لما أراد تقديم النصح والإرشاد للملك أبطن في نفسه حب التقرب إليه وإلى السلطة، فإنه بذلك هو من وضع نفسه في مكان ينال منه الحُساد ويصلون إليه فيه، فلا يمكن لطبقة المستشارين السياسيين المقربين أن يتقبلوا أحدا جديدا بينهم، إلا إذا كان يوافق أهواءهم وأمزجتهم، وفعلا هذا ما حصل مع الغواص، فقد أوقعوه في الفخ هو والملك؛ فقد حاكوا له المؤامرات وأقنعوا الملك بخيانة الغواص زورا وكذبا، فدخل السجن مدة من الزمن ثم أُخرج، لكنه في هذه المرة رفض البقاء بالقرب من الملك، والملك يُصرّ عليه بالبقاء، فأخبر الملك أنه سيبقى له الناصح الأمين، لكنه يُؤثر أن ينأى بنفسه في أحد بيوت العبادة، وينقطع لعبادة ربه، كما أنه لا يستطيع البقاء لسبب آخر، وهو شكّ الملك بولائه له، فكما شكّ مرة، ربما شكّ ثانية وثالثة، وإذا كان قد نجا في هذه المرة، لعله لا ينجو في المرات القادمة من بطش الملك، وهو بذلك يعطي درسا للحاكم والمحكوم، فهو يقدم للحاكم نصائح بصفات المستشار الأمين، وكيف يختاره من بين الناس، وأما نصيحته المقدمة للرعية وللمحكومين من الرعية، أن لا يسعى

البنية السردية والتمثيل الرمزي للسلطة في العصر العباسي:

حكاية "الأسد والغواص" أنموذجًا - دراسة تحليلية

أحد وراء السلطة والسياسة، فإنه لا يأمن مكر الأعداء إذا دخل معترك السياسة والقرب من الملك، كما حصل مع الغواص، فقد لام نفسه كثيرا على أنه لم يستمع إلى نصيحة صديقه اللّوام، وخاطب نفسه في آخر الحكاية في حوار طويل، في مجمله حثّ على عدم التعلق بالدنيا، وأنها دنيا غرارة، تغر طالها، وتظهر له حسنها وجمالها، لكنها سرعان ما تنقلب عليه، ولا شك أنها زائلة مهما طال، وهو يحذر غيره من الناس بعدم السعي وراء السلطة والسياسة؛ حتى لا يقع بما وقع به الغواص. ومع تلك المكائد التي وقع بها الغواص إلا أنه بقي المخلص الأمين للملك، وبعد أن ودّع الملك وغادر المكان، أخبره الملك أنه سيزوره من حين لآخر؛ ليستمع لنصائحه القيمة وينهل منها، فوافق الغواص على شرط أن يبقى خارج السلطة، وأن لا يجبره الملك على الدخول فيها مستقبلا، وبقي على ذلك حتى فرّق بينهما الموت.

--الخاتمة والنتائج

إن حكاية "الأسد والغواص" تُظهر بوضوح كيف يُمكن للسرد الرمزي أن يتحوّل إلى وسيلة مقاومة فكرية، في ظل أنظمة لا تحتل النقد المباشر. فالحكاية تعيد بناء مفهوم السلطة من خلال مواجهة بين الظاهر والمخفي، السطح والعمق، القوة والمعرفة. وتبيّن كيف أن المثقف - ممثلاً بالغواص - قد يظل مهمشاً رغم إدراكه للخطر، فيما يبقى الحاكم - ممثلاً بالأسد - رهينة أوهام الحاشية والسلطة المغشوشة. وهكذا، تُشكّل الحكاية نموذجاً حيويّاً يُعيد طرح السؤال عن موقع الحكمة في زمن الغفلة السلطوية. لقد أثبتت هذه الدراسة أن حكاية "الأسد والغواص" تمثل خطاباً رمزياً معقّداً يتجاوز التسلية، ليدخل حيز النقد السياسي والفكري المغلّف. وقد كشف التحليل السيميائي-السردى عن أن العلاقة بين الحاكم والحكيم في هذه الحكاية ليست إلا صورة رمزية للصراع بين السلطة والمعرفة. كما أن التوظيف الرمزي للغوص يعكس بحثاً مضنياً عن الحقيقة في بيئة يغلب عليها الخداع والتضليل. وتؤكد الدراسة على ضرورة إعادة قراءة هذا الأدب الرمزي ضمن سياقاته السياسية، لفهم ما يختزنه من رؤى فلسفية وفكرية مغيّبة.

النتائج

- الحكاية تمثل نقدًا مبطنًا لبنية الحكم العباسي، حيث يُقصي صوت الحكمة لصالح سلطات مخادعة.
 - الغواص يرمز إلى المثقف أو العالم، الذي يُبحر في أعماق الحقيقة لكنه لا يُؤخذ برأيه في ظل حكم سلطوي.
 - السرد يُعيد صياغة العلاقة بين الحاكم والناصح من خلال الرموز لا الوقائع، ما يمنح النص طابعًا مقاومًا.
 - البحر والغوص ليسا مجرد خلفية حكائية، بل رمزان للبحث المعرفي في بيئة سياسية مشوشة.
 - التمثيل الرمزي يعكس تداخل السياسة بالفكر في النصوص الأدبية، ويبرهن على فاعلية الأدب كأداة تفكيك للسلطة.
 - تفتح الحكاية أفقًا لتأويل أدب الحيوان بوصفه خطابًا سياسيًا من نوع خاص، يعبر عن أزمت واقعية بلغة مجازية محصنة ضد القمع.
- قائمة المصادر والمراجع
- إبراهيم، مجدي محمد شمس الدين، القصة الرمزية على لسان الحيوان، مصر- القاهرة، دار الطباعة المحمدية، ط 1، 1990م.
 - إبراهيم، مجدي محمد شمس الدين، القصة الرمزية على لسان الحيوان، مصر- القاهرة، دار الطباعة المحمدية، 1990م.
 - إسماعيل، يوسف، محكيات السرد العربي- مقارنة لأدبيات العلاقة بين السلطة والمثقف دراسة في البنية الحكائية لحكاية الأسد والغواص، سوريا- دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2008م.
 - بغايد، خيرة، بنية السرد في الرواية الجزائرية المعاصرة (قضاة الشرف) لعبد الوهاب بن منصور أنموذجًا، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجزائر، جامعة وهران- أحمد بن بلة، 2016م/2017م.
 - التائب، خيرية عمر، البعد التدميري لحكاية الأسد والغواص قراءة تأويلية، ليبيا- البيرة، مصراتة: جامعة مصراتة، مجلة البحوث الأكاديمية، العدد 9، قسم اللغة العربية، كلية التربية، (د.ت).

البنية السردية والتمثيل الرمزي للسلطة في العصر العباسي:

حكاية "الأسد والغواص" أنموذجًا - دراسة تحليلية

- الجزار، محمد فكري، العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي، مصر- القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.
- جمعة، حسين، الحيوان في الشعر الجاهلي، سوريا- دمشق، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، 2010م.
- زيتوني، لطيف، معجم مصطلحات نقد الرواية، لبنان- بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، 2002م.
- سراجية، عمر، التحليل الأسلوبي للخطاب السردى دراسة أسلوبية لرواية (بحيرة الملائكة) للكاتب محمد فتيلينة، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجزائر، جامعة زيان عاشور بالجلفة، 2016م/2017م.
- السيد، رضوان. الأسد والغواص حكاية رمزية عربية من القرن الخامس الهجري، لبنان- بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1978م.
- شخاترة، خولة خليل حسين، كليلة ودمنة والأسد والغواص ملامح من علاقة المثقف بالسلطة، جامعة عمان الأهلية: مجلة البلقاء للبحوث والدراسات، المجلد 12، العدد 2، 2007م.
- العلاق، علي جعفر، شعرية الرواية، مجلة علامات في النقد، السعودية- جدة، النادي الأدبي، المجلد 6، 1997م.
- علوش، سعيد، معجم المصطلحات الأدبية، المغرب- الدار البيضاء، المكتبة الجامعية للنشر والتوزيع، 1984م.
- الفلاح، قحطان صالح، قصص الحيوان في الأدب العباسي معالم ومميزات، مجلة جامعة الفرات، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية والتربوية، 2013م.
- لحمداني، حميد، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، المغرب- الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، 2003م.
- مانفرد، يان، علم السرد مدخل إلى نظرية السرد، ترجمة أماني أبو رحمة، سوريا- دمشق، دار نينوى، 2001م.
- ابن المقفع، أبي محمد عبد الله (اسمه: روزبه بن داؤويه قبل إسلامه)، كليلة ودمنة، تحقيق عبد الوهاب عزام، لبنان- بيروت، دار الشروق، 1401هـ/1981م.

- وسواس، نجا، السارد والمؤلف في تحليل الخطاب الروائي الجزائري، الجزائر- بسكرة: جامعة بسكرة، مجلة مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد 8، 2012م.

المراجع الأجنبية:

List of references :

- Ibrahim, Magdy Mohamed Shams El-Din, The Allegorical Animal Tale, Cairo, Egypt: Al-Tiba'a Al-Mohamadiya Publishing House, 1st ed., 1990.
- Ibrahim, Magdy Mohamed Shams El-Din, The Allegorical Animal Tale, Cairo, Egypt: Al-Tiba'a Al-Mohamadiya Publishing House, 1990.
- Ismail, Youssef, Arab Narrative Fictions: An Approach to the Literary Relationship between Power and Intellectuals – A Structural Study of the Tale "The Lion and the Diver", Damascus, Syria: Arab Writers Union Publications, 2008.
- Bghadid, Khira, The Narrative Structure in the Contemporary Algerian Novel: A Case Study of "Judges of Honor" by Abdelwahab Ben Mansour, (Unpublished Master's Thesis), Algeria: University of Oran – Ahmed Ben Bella, 2016/2017.
- Al-Taeb, Khairiya Omar, The Destructive Dimension of the Tale "The Lion and the Diver": An Interpretative Reading, Libya – Al-Bireh, Misrata: Misrata University, Academic Research Journal, Issue 9, Department of Arabic Language, Faculty of Education, (n.d.).
- Al-Jazzar, Mohamed Fikry, The Title and the Semiotics of Literary Communication, Cairo, Egypt: The General Egyptian Book Organization, 1998.
- Jum'ah, Hussein, Animals in Pre-Islamic Poetry, Damascus, Syria: Raslan Foundation for Printing, Publishing, and Distribution, 2010.
- Zaytouni, Latif, Dictionary of Narrative Criticism Terms, Beirut, Lebanon: Librairie du Liban Publishers, 1st ed., 2002.
- Sirajiya, Omar, A Stylistic Analysis of Narrative Discourse: A Stylistic Study of the Novel "Lake of Angels" by Mohamed Fettelina, (Unpublished Master's Thesis), Algeria: University of Ziane Achour, Djelfa, 2016/2017.
- Al-Sayyid, Radwan, The Lion and the Diver: An Arabic Allegorical Tale from the 5th Century AH, Beirut, Lebanon: Dar Al-Tali'a for Printing and Publishing, 1st ed., 1978.
- Shakhtrah, Khawla Khalil Hussein, Kalila wa Dimna and The Lion and the Diver: Features of the Relationship Between the Intellectual and

البنية السردية والتمثيل الرمزي للسلطة في العصر العباسي:

حكاية "الأسد والغواص" أنموذجًا – دراسة تحليلية

- Power, Amman, Jordan: Al-Balqa Journal for Research and Studies, Al-Ahliyya Amman University, Vol. 12, No. 2, 2007.
- Al-Alaq, Ali Jaafar, The Poetics of the Novel, Saudi Arabia – Jeddah: Adab Club, Alamāt fi al-Naqd Journal, Vol. 6, 1997.
 - Alloush, Said, Dictionary of Literary Terms, Casablanca, Morocco: University Library for Publishing and Distribution, 1984.
 - Al-Falah, Qahtan Saleh, Animal Stories in Abbasid Literature: Features and Characteristics, Euphrates University Journal, Series of Humanities and Educational Sciences, 2013.
 - Lahdani, Hamid, The Structure of the Narrative Text from the Perspective of Literary Criticism, Casablanca, Morocco: Arab Cultural Center for Printing and Publishing, 2003.
 - Manfred, Jahn, Narratology: A Guide to the Theory of Narrative, translated by Amani Abu Rahma, Damascus, Syria: Ninawa Publishing House, 2001.
 - Ibn al-Muqaffa', Abu Muhammad Abdullah (original name: Ruzbeh ibn Daduya before Islam), Kalila wa Dimna, edited by Abdul Wahhab Azzam, Beirut, Lebanon: Dar Al-Shorouk, 1401 AH / 1981.
 - Wasswas, Najat, The Narrator and the Author in the Analysis of Algerian Narrative Discourse, Biskra, Algeria: University of Biskra, Journal of the Laboratory for Research in Algerian Language and Literature, Issue 8, 2012.